

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن هذا التقرير حول الأحداث والأنشطة التي كان لها اثر في الولاية الرابعة من أوت 1956 إلى نهاية 1958 يتكون من أربعة أجزاء.

الجزء الأول الذي نحن بصدد قراءته يتطرق إلى الأحداث والى التنظيم العام في الولاية.

وقد أحصينا وجمعنا في أجزاء ثلاثة كل العمليات العسكرية وعمليات التخريب و الفداء التي استطعنا روايتها عن المجاهدين الذين لازالوا أحياء.

وإذا استعرضنا في هذا الجزء بعض الأنشطة ذات الطابع العسكري التي يعاد ذكرها تفصيلها في الأجزاء الثاني والثالث والرابع فذلك كتكملة للأنشطة الأخرى إذا الكفاح كان في نفس الوقت سياسيا وعسكريا.

ويتضمن هذا الجزء في آخره ملحقات تتناول بعض القضايا بشيء من التفصيل لان التقرير قد أشار إليها في محتواه، كما يتضمن جداول إحصائية للمراكز العسكرية التي نصبها العدو لتطبيق الجهة ولمصالح الفرق الإدارية الخاصة (لصاص) وجداول أخرى لمراكز التجمع أو التي كان يمارس فيها القمع.

وفي الصفحات الأخيرة لهذا الجزء أيضا نجد فهرسا لمحتويات التقرير فبأجزائه الأربعة.

مقدمة

إن تاريخ الثورة الجزائرية يمثل احد المعالم البارزة في تاريخ تحرير الشعوب، انه تاريخ دون بأحلاف من دم، وكان محل إعجاب، وفرض احترام الشعوب المحبة للعدالة، وذلك لضخامة التضحيات، والعزم الثابت لتحقيق الهدف المنشود ألا وهو استقلال الجزائر وتحرير شعبها.

ونحن الذين أسعفنا الحظ لنكون من صانعي تلك الأحداث وشهودها بقى على عاتقنا القيام بواجب تبليغ الأمانة إلى الأجيال القادمة.

وليس لنا في هذا العمل حاجة إلى التتميق، فالثورة التي قام بها رجال هي في حد ذاتها عما بشري ببطولاتها وانتصاراتها ونقائصها أيضا.

وإذا دون التاريخ بدون تحيز وبكل موضوعية فانه سيسمح للأجيال القادمة باستخلاص أئمن الدروس.

وإذا كنا في هذه الآونة نسجل وقائع وأحداث الثورة لفترة ما بين 1956 ونهاية 1958، فان ما وقع خلال هذه الفترة يعتبر عاملا حاسما بالنسبة لها.

ومن جهة أخرى فان كفاحنا كفاح واحد، وإذا تحدثنا عن وقائع الكفاح في الولاية الرابعة فيبقى هذا الكفاح ملتحما التحاما وثيقا بالكفاح الذي خاضه جميع الشعب في كل أنحاء الجزائر وحتى في فرنسا نفسها.

الولاية الرابعة :

هذه الناحية تشمل الساحل وسهل متيجة وجبال الأطلس البليدي والتطري (المدية) وزكار والظهرة وسهول الشلف وجبال الونشريس وسهل سرسو وجبال زبربر وبوزقزة.

لقد سبق لهذه الناحية من الوطن أن لعبت دورا هاما خلال مقاومة الأمير عبد القادر، والجدير بالذكر أن المدية ومليانة كانتا عاصمتي الأمير عبد القادر.

وفي ناحية البرواقية كانت توجد زمالة الأمير عبد القادر وكان "جراح" (دوار بني مسعود) بالمدية ميدانا لتدريب فرسانه. إن احد نواب الأمير عبد القادر البارزين وهو بن علال من مواليد القليعة قد قاوم بكل بطولة جيش الاحتلال ونذكر من بين أعماله حصار ثكنة مليانة الذي دام عدة شهور.

وفي دوارسوفلات بالتطري استشهد في ميدان الشرف البطل المقراني في شهر ماي 1871.

وفي التاريخ القريب منا تعود بنا الذاكرة إلى انتفاضة بني مناصر المشهورة سنة 1871.

وفي بداية هذا القرن كانت انتفاضة ريغة سنة 1901 قرب مليانة. وقبل أول نوفمبر 1954 كانت متيجة مهدا للمقاومة والأعمال التحضيرية لاندلاع الثورة التي قامت بها جماعة من المناضلين منهم الشهيد كريتلي المختار (سي بن يوسف) بوقاسي الطيب (الطيب الجغلاي) ديدوش مراد، وسويداني بوجمعة، بوقرة أحمد، وغيرهم من المناضلين الأوائل ودون أن نتوسع في الموضوع لأنه سبق أن تعرض له الملتقى الوطني الأول والثاني.

كما نذكر أيضا أن أقدم المعتصمين بالجبال في هذه الناحية هو المدعو العسكر الذي التجأ إلى غابة بني مناد بعد فراره من الجيش الفرنسي سنة 1916، رافضا بذلك المشاركة في الحرب ضمن الجيش الاستعماري وما إن وصلت طلائع جيش التحرير الوطني إلى الجهة حتى انضم إليها وأصبح جنديا في الجيش إلى أن استشهد سنة 1957 رغم كبر سنه.

وفي ذلك الوقت هناك مجاهد آخر هو الشيخ بوقاسي الطيب (الطيب الجغلاي) الذي امتثل لأمر صادر عن حزب الشعب سنة 1942 . يقضي برفض الخدمة العسكرية الإجبارية في صفوف الجيش الفرنسي ألقى عليه القبض وحبس إلى أن صدر في حقه العفو سنة 1947 ثم التحق بالحبل سنة 1948 واعتصم به وكان من الأوائل الذين انضموا إلى الثورة بعد اندلاعها.

هذا العرض التاريخي الوجيه يبرز أن هذه الناحية الشاسعة كما هو الحال في الأوراس وجرجرة وجبل القصور لم تتوقف عن زرع روح المقاومة في أبنائها.

حقا فان الكفاح الثوري الذي خاضته الولاية الرابعة لا يسوغ التميز بينه وبين غيره في النواحي الأخرى، لكن حتى تفهم المصاعب التي واجهتها هذه الجهة من الوطن، والبعض من الأشكال التي اتسمت بها المعركة فيها فمن الضروري الفات النظر إلى خصائصها التي منها :

- موقعها الجغرافي حيث تحتل وسط البلاد فهي بعيدة عن قواعد الحدود.

- إنها تحتضن العاصمة.

- تترامى فيها سهول خصبة استحوذ عليها المستعمرون واحتكروها مثل متيجة، شلف، وسرسو، ومنها كذلك أهمية الكثافة السكانية الاستعمارية وتركيز وتكثيف القوات الاستعمارية وقربها من العاصمة حيث أن جبل وبوزقزة لا يبعد عن العاصمة إلا بثلاثين كيلو متر والشريعة بـ 50 كلم زبربر بـ 60 كلم أما المدينة أين كان يوجد في اغلب الأحيان مركز قيادة الولاية لا تبعد عن العاصمة إلا بثمانين كلم (80) ضف إلى هذا عدادا كبيرا من المطارات التي تطوق الجهة : مطار الجزائر (الدار البيضاء-عين وسارة وبيبرغالو، في الوسط زيادة عن الثكنات العسكرية وفي نفس الوقت فان استمرار المعركة قد اجبر العدو على أن يحول مراكز حراس الغابات ومزارع المعمرين إلى حصون مدججة بالسلاح، وهنا يمكن أن نتصور قوة الإيمان والشجاعة التي كانت تحدى المجاهدين الذين اضطلعوا بالكفاح المقدس في هذه الجهة حيث كنا نترحم على المحافظ السياسي أو الفدائي، بمجرد أن يكلف بمهمة ثورية بمتيجة والساحل متنبئين باستشهاده وكأنه واقع لمحالة، هذه الخصوصيات التي تمتاز بها الولاية الرابعة كانت مصدر إزعاج للعدو بحيث ركز اغلب قواته وضاعف من عملياته البسيكولوجية.

وان الولاية الرابعة بحكم قربها من العاصمة وما نتج عن كفاحها البطولي قد تحملت أعباء ثقيلة كانت لها آثار قاسية، وبدون منازع فان سنة 1956 عرفت منعرجا حاسما في تطور الكفاح بالولاية ويمكن اعتبار سنتي 1957-1958 سنتين ذهبيتين لنظام جبهة وجيش التحرير الوطني إذ انطلق ابتداء من السداسي الأول لسنة 1956 النظام الثوري الذي كان قد احكم قواعده في جبال الأطلس مركزا زحفه التنظيمي نحو غرب الولاية وهو يكبد إستراتيجية العدو السياسية والعسكرية الهزيمة تلو الهزيمة فكان جيش التحرير يكثف عملياته ضد أجهزة

الاستعمار وأعوانه ويوجه ضرباته ضد الكيان الاقتصادي للعدو (تخريب حرق المزارع قطع الطرق قطع أعمدة الهاتف والكهرباء وطرق المواصلات).

وهكذا نفذ حكم الإعدام في العديد من أعوان العدو وعملائه في الأرياف والمدن والقرى ولنذكر على سبيل المثال إعدام المفتش المدعو التومي الشهير بأعماله الشنيعة بالمدينة.

وفي بداية 1956 نقل الشهيدان علي خوجة وسي الأخضر ورفاقهما المعركة إلى أبواب العاصمة ونذكر هجوم أولاد موسى (سان بيار سان يول) سابقا شرق متيجة فبراير 1956 وهجوم تابلاط في بداية مارس وكمين جراح قرب الأخضرية حيث أسر الضابط الفرنسي (براكس) ثم كمين صكا موزي الشهير.

وشهد شهر افرى لوماي عدة عمليات وقعت في آن واحد قرب العمارية (شابلا سابقا) وعين بسام وصور الغزلان والبرواقية والمدينة ومن جهة أخرى وقف خوجة معترضا لحركة المرور في الطرق المؤدية من العاصمة إلى تابلاط والأخضرية.

مثل كمين واد المالح الذي نصبه سي الأخضر في يوليو 1956 وكمين بوزقزة بقيادة علي خوجة حيث أسر الجنديين ميشال ريس وبول فيلات والذين أحدثت شهادتهما فيما بعد ضجة كبيرة في فرنسا.

وفي غرب الولاية حيث تواصل الزحف من أجل إرساء النظام وربط الوحدات ببعضها فتكاثر العمل الفدائي في مدن وقرى سهل الشلف وكل هذه العمليات العسكرية المقترنة بأعمال الفداء التي استهدفت خاصة أفراد أجهزة القمع (محافظي الشرطة ومساعدتهم والعملاء اللاجئين بالمدن) أذهلت المسؤولين في الجزائر العاصمة السياسيين منهم والعسكريين وأفقدتهم رشدهم، إذ نراهم يسارعون في تعميم القمع الذي لم يبقى منحصر في الأرياف بل تعداها إلى المدن.

وفي ربيع 1956 أعلن عن إضراب الطلبة وتلاميذ الثانويات عن الدروس وهو عمل وجه ضربة قاسية لدعاية العدو الذي كان يجهد نفسه في تقديم المجاهدين في صورة (عصابة من الخارجين عن القانون) وبرهن على وقوف الشعب بأكمله وراء جبهة التحرير الوطني وهذا العمل أيضا أعطى نفسا جديدا لتنظيمات جبهة وجيش التحرير الوطني في الولاية.

وللحقيقة التاريخية فانه تجدر الإشارة إلى أن هذا الإضراب وان كان لأثره السياسي صدى عميق فان الهدف الثاني منه والمتمثل في تلبية النداء الصادر في 19 ماي 1956 عن الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين والذي جاء فيه ما نصه يجب مغادرة مدارج الجامعة

للتحاق بالرجال ويجب الانضمام جماعيا إلى جيش التحرير الوطني ومنظمته السياسية
جبهة التحرير الوطني) هذا الهدف لم يتحقق

بأكمله إذ قليلون هم الطلبة الذين التحقوا بالرجال، في الجزائر العاصمة من بين 300 طالب لم
يمثل منهم إلا حوالي 30 طالبا على عكس تلاميذ المعاهد والثانويات. الذين غادر العديد منهم
المدارس والتحق فعلا بجيش التحرير الوطني مدعين بذلك صفوفه وكم هم كثيرون من
هؤلاء التلاميذ الذين سقطوا شهداء في ميدان الشرف.

وتجدر الملاحظة كذلك ودائما من أجل الحقيقة التاريخية أن مفهوما آخر ساد أوساط الذين
لم يلتحقوا بإخوانهم في الرجال أن ذاك وشاع في قول بعضهم إن الجزائر سوف تستقل ولا
شك في ذلك وعندها تقتصر بلادنا إلينا لتأطيرها ، فلنترك هذا للتفكير والعبرة قبل أن نغلق
القوس، وكان لانضمام المرأة من المدن إلى الثورة وتلميذات الثانويات على وجه الخصوص
أثره السياسي الكبير والواقع أن النساء في الأرياف كنا بادرنا بتقديم خدماتهن للثورة في كل
الميادين غير أن ذلك بقي خافيا عن الرأي العام إلى أن تم أسر ثلاثة من الطالبات.

وذلك عندما اكتسحت القوات الفرنسية ناحية الوزانة قرب بوقرة في 11 يوليو 1956 حيث
سقط رشيد لعماري في ميدان الشرف، وحدث اعتقال المجاهدات الثلاث الذي رددته أجهزة
الإعلام التابعة للعدو وترك أثرا نفسيا وسياسيا هاما لدى الرأي العام الفرنسي والدولي.

ثم حدث يوم 19 جوان في سجن بار بروس أمر حاسم كانت له اثر في التطور الجذري
لإشكال الكفاح التي انتهجها تنظيمنا إذ في ذلك اليوم تم تنفيذ حكم الإعدام في عبد القادر فراج
واحمد زعبانة، وقد كانت قيادة جبهة التحرير الوطني أذرت الحكومة الفرنسية في شهر
مارس في منشور جاء فيه : "إننا ندعو العالم أن يقف شاهدا معنا لما قد ينتج من عواقب
وخيمة عن هذه الجريمة الشنعاء وأدا ما أقدمت الحكومة الفرنسية على تنفيذ حكم الإعدام في
المحكوم عليهم بالموت فان أعمالا انتقامية مرعبة سوف تحل بالسكان المدنيين الأوروبيين"
فالي ذلك الحين كانت قيادة جبهة التحرير الوطني تلزمنا بعدم التعرض في هجوماتنا إلى
المدنيين إلا إذا كانوا من طائفة المعمرين المعروفين بأعمالهم الإجرامية، وهذا على الرغم
من عمليات تقتيل الأبرياء المقترفة من طرف الجيش الفرنسي وعلى الرغم من قصفه
الأعمى بالمدفعية والطيران للمد اشرف.

وابتداء من إعدام هذين المجاهدين فان الفدائيين وجنود جيش التحرير الوطني الذين كانوا
يستهدفون قوى القمع وأعدائه خاصة أصبحوا يقومون بأعمال عنف في المدن والقرى

يلاحقون المعمرين ويهاجمون متاجر ومقاهي الأوروبيين ويخربون الممتلكات زارعين جوا من الرعب وانعدام الأمن في نفوس المستعمرين.

وهناك أيضا نتيجة مباشرة وظرفية أخرى لعملية إعدام (عبد القادر فراج، واحمد زعبانة) تمثلت في تأجيل إطلاق سراح الأسيرين ميشال ريس وبول فيلات اللذين أسرا في كمين بوسكن وجاء إضراب 5 جويلية 1956 ليؤكد وقوف الشعب وراء جبهة التحرير الوطني إذ زاده وعبا بقوته وتماسك وحدته وتبيين أن الجماهير مستعدة للتضحية والتلبية للنداء ولم ينحصر الإضراب في العاصمة فقط بل كان عاما وشاملا في البليدة والشلف والمدية والأخضرية وغيرها من المدن والقرى.

وما هي إلا أيام قلائل بعد ذلك حتى ترى الشعب يلبي نداء جبهة التحرير الوطني بعدم الاحتفال بعيد الأضحى معلنا بذلك انتظامه واستعداده للمقاومة وراء نظامه، وكانت الحركات السياسية الجزائرية قد حلت نفسها في تلك الإثناء وذابت داخل جبهة التحرير الوطني مثلما فعل حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وجمعية العلماء أو حاولت إن تستقل بمقاومتها مثل ما فعل الحزب الشيوعي (خروج مايو وللويان للجبل في بني بودوان دائرة العطاف، وسرعان ما قضي على هذه المحاولة). وكانت مجموعات صغيرة من الميصاليين قد تمركزت في دوار الشباشب قرب روية وفي ناحية موازية والعفرون ودوار الريش قرب الأخضرية وتمت ملاحقتها وانضم بعض أفرادها إلى صفوف جيش التحرير الوطني.

هذا أيها الإخوة والرفاق عرض سريع للوضع الذي كان سائدا في جهتنا قبل انعقاد المؤتمر التاريخي ألا وهو مؤتمر الصومام.

التنظيم العام في الولاية الرابعة :

- ممثلو المنطقة الرابعة في المؤتمر (والتي ستصبح الولاية الرابعة فيما بعد) هم الإخوة :
عمران أرزقي، دحليس سليمان(الصادق) بوقرة احمد(سي أحمد) علي ملاح (الشريف)
مسؤول ناحية سور الغزلان.

وبعد مؤتمر الصومام عكف المسؤولون في الولاية الرابعة على تطبيق القرارات المنبثقة عنه، وتجدر الملاحظة على أنه على مستوى الهياكل النظامية يصدق القول أن التنظيم الجديد ماهر إلا عملية تكييف وتوحيد لأن توزيع المهام والتقسيم الإقليمي كان موجودا بالمنطقة الرابعة سابقا إذن فالأصح ماهي إلا عملية تطابق أجريت تنفيذا للمبادئ التي أقرها مؤتمر الصومام.

وتم تقسيم الولاية في أول الأمر إلى ثلاث مناطق

المنطقة الأولى : امتدت شرق الجزائر العاصمة وتشمل بوزقزة، الزبربر تابلاط، والمدن الهامة بها : الأربعاء، مفتاح، الأخضرية (باليسترو سابقا) عين بسام، الثنية (مينيرفيل سابقا) الرويبة، برج الكيفان، الحراش.

المنطقة الثانية : التي ضمت الأطلس البلدي، وجبال شرشال، سهل متيجة والساحل والمدن الهامة فيها هي : البليدة، المدية، البرواقية، بوفاريك، القليعة موزاية، العفرون، حجوط، شرشال، عين البنيان، الشراقة، بئر خادم.

المنطقة الثالثة : وفيه جبال الظهرة وزاكار والونشريس وسهل الشرف واهم مدنها هي : ثنية الأحد، مليانة، الخميس، عين الدفلة، شلف، تنس، تسميلت، المهديّة، فالولاية بمناطقها الثلاث تحتوي على اثني عشر ناحية و48 قسما.

وفي نوفمبر 1956 أنشئت منطقة رابعة في مكان المنطقة الأولى من الولاية السادسة وذلك على اثر الأزمة التي وقعت في تلك الولاية بعد قضية الشريف بن سعدي (تقرير ملحق خاص بهذه القضية) وتشمل جبل ديرة وجبل بوقعدن الكاف الأخضر واهم المدن بها : سور الغزلان، سيدي عيسى، عين بوسيف، بيرغبالو، قصر البوخاري، وسارة، قصر الشلالة.

وفي جوان 1958 أعيدت هذه المنطقة للولاية السادسة عندما تكونت من جديد.

ابتداء من جويلية 1958 ولحسن تسيير النظام قسمت المنطقة الثالثة في يوليو 1958 إلى منطقتين يدهما تارة خط الطريق الوطني، الجزائر وهران، ومجرى وادي الشلف تارة أخرى.

فالجاء الجنوبي لهذا الخط عرف بالمنطقة الثالثة وصار الجزء الشمالي منه للمنطقة الرابعة التي ضم إليها جزء من الناحية الثالثة من المنطقة الثانية وهي ناحية شرشال، وأصبحت الولاية بمناطقها الأربعة تضم 15 ناحية و57 قسما بينما كانت إلى غاية جويلية 1958 تحتوي على 3 مناطق.

ومن اجل وضع الهياكل الجديدة وتنصيب هيئاتها وشرح المبادئ التي وضعها مؤتمر الصومام والتدابير التي اتخذها ثم تتبع عملية تقسيم النواحي والأقسام حيث انتقل المسؤولون في الولاية إلى المناطق وعقدوا عدة اجتماعات تنظيمية.

فالمنطقة الأولى عقدت اجتماعها في سبتمبر 1956 ونصب على رأسها القائد علي خوجة الذي استشهد على أبواب العاصمة ببرج الكيفان في 11 أكتوبر 1956 وكان مساعده الثلاثة رابع مقراني المدعو سي الأخضر (عسكري) عبد القادر عمر موهوب (سياسي) عبد الرحمن لعلا (إخباري).

وعقدت المنطقة الثانية اجتماعها يوم 22 أكتوبر 1956 في الصياغية ونصب على رأسها الشيخ الطيب (الجلالي) (بوقاسي الطيب) مسؤولا سياسيا وعسكريا وحمود بن يوسف بوديسة (سي حسان) سياسي، ومحمد الطيب سليمان (سي الزويبر) عسكري، ويحي كلاش (سي الياس) مكلف بالإخبار والاتصالات.

أما المنطقة الثالثة فان مجلسها نصب مع أوائل يناير 1957 وجعل على رأسها الشهيد محمد علي (سي البغادي) والجيلالي بونعام (سي محمد) عسكري (الذي ترأس الولاية الرابعة فيما بعد ابتداء من 1960 إلى أن سقط شهيدا في ميدان الشرف داخل مدينة البليدة في 8 أوت 1961) ونصي أحمد بن محجوب مسؤولا سياسيا و محمد بلكبير (سي بلحسن) مكلفا بالإخبار والاتصالات.

وعكفت هذه القيادات الجديدة من الولاية إلى مستوى الأقسام على ترجمة القرارات المحددة إلى الواقع الملموس فبذلت في ذلك جهودا منقطعة النظير متحلية بروح التفاني وبالعقلانية والفعالية المستلهمة من مبادئ المؤتمر، وأول عمل شد اهتمام المسؤولين هو مد جذور النظام وبسط نفوذه، في البقاع التي لم يمسه بعد.

وفي سبتمبر 1957 انطلقت في الظهرة فيما بين تنس و شلف العملية التي كان قد مهد لها منذ فصل الربيع الشهيدان بغدادي ومحمد بونعامة، وهي الاتصال مع الإخوة من الولاية الخامسة عن طريق جبال تنس وعن طريق جبال الونشريس في الجنوب الغربي، بينما كان المسؤولون في الولاية يساعدون في الجنوب مسؤولي الولاية السادسة على إرساء تنظيماهم، وفي الشرق كان الاتصال قد تم مع الولاية الثالثة منذ سنة 1955.

وكان يدعم هذا الزحف التنظيمي دوي سلسلة من الهجومات ضد العدو، هذه الهجومات التي أكدت بدورها توسيع نطاق العمل الثوري وكثافته في المنطقة الثانية على محور البليدة، شرشال، المدينة تحت قيادة سي الطيب الجغلالي سي حسان والزوبير والياس ومصطفى لكلل وفي المنطقة الأولى معقل الولاية لم ينثني جيش التحرير الوطني طول سنة 1956 عن نصب الكمائن العديدة والقيام بعمليات التخريب وإحراق المزارع.

هذا وان تكثيف هذه الهجومات مع العمليات التي كان يقوم بها إخواننا في منطقة العاصمة قد زرع في صفوف الجيش الاستعماري الخوف والهلع فكانت منه أعمال انتقامية دامية لكنة هذا القمع لم يجده نفعاً بل تواصلت الكمائن وتكاثرت نذكر منها :

- كمين الفرنان قرب البرواقية تحت قيادة الشهيد مصطفى لكلل يوم 23 أكتوبر 1956.

- عمل آخر كان له صداه السياسي الكبير يتمثل في إعدام اميدي فروجي رمز الاستعمار رئيس اتحادية شيوخ بلديات الجزائر وشيخ بلدية بوفاريك وذلك يوم 1956/12/28.

كانت جبهة التحرير الوطني قد غرست نظامها في مجموع التراب المحدد للولاية الرابعة وكان عليها من قبل ان تقضي على المجموعات المناوئة التي تواجدت في عدة نواحي.

إن داء التعاضم في ميصالي الحاج، استولى على عقول أقلية من الجزائريين وعدد من المناضلين أدى بهم إلى الخيانة عن وعي أو غير وعي، الأمر الذي احدث الفتنة والاقنتال بين الإخوة وتحملت الولاية الرابعة- عملاً بضرورة الانضباط الثوري- اقسي الأثر في ملاحقاتها للحركة الميصالية وفي إجبار بلونيس على كشف القناع ومشاركة الجيش الاستعماري في واضحة النهار في أعماله الإجرامية فانتهدت معهم جبهة التحرير الوطني أساليب الإقناع حيث إن الكثير منهم كانوا مناضلين أو منخرطين جدد غير واعين بالحقائق وهكذا كان الحال بالنسبة لجماعة مصمودي في الونشريس إذ استطاع بونعامة أن يكسب ثقة الجنود التابعين لجماعة مصمودي.

وفي حالات أخرى لجأت جبهة التحرير الوطني إلى استعمال السلاح للقضاء نهائيا على الذين تمادوا في عنادهم.

أما بلونيس ورفاقه الذين كانوا قد حطوا رحالهم أول الأمر في الشريط الفاصل بين الولاية الرابعة والثالثة بدوار الريش قرب البويرة وإمام الضربات القوية والضغط انتقلوا إلى المنطقة الحدودية بين الولاية الرابعة والولاية السادسة، في جبل حد السحاري وإمام هذا الوضع فإن مسؤولي الولاية الرابعة وعيا منهم أن المعركة معركة واحدة، كثيرا ما وجهوا كتائبهم لمطاردة وملاحقة جيش بلونيس وهناك جيش آخر معارض لجبهة التحرير الوطني كان قد نزل بناحية غير بعيدة عن تلك التي كانت مسرحا للمحاولة الشيوعية بتكوين جيش والتي قام بها (مايو) ورفيقه لابنان، وهذا الجيش الذي أسسه الجيلالي بلحاج العضو السابق في المنظمة السرية والمعروف باسم "كوبيس" قد قام بتفكيكه جيش التحرير الوطني في افريل 1958 (انظر التقرير الملحق).

وهذا وابتداء من سنة 1957 حيث أصبح نظام جبهة التحرير الوطني سيد الموقف في المحافل السياسية بدون منازع، يستطيع تطوير العمل السياسي العميق وتأسيس التنظيم الثوري البارز الذي ينقل الكفاح إلى كل الجهات ويمد جذوره في أوساط الشعب يقوي نفسه بالتجارب والممارسات المعاشة في الميدان ويتكيف حسب مقتضيات تطور الحرب ومع توطيد التنظيم السياسي العسكري حسب تعليمات أرضية المؤتمر وضمان الزحف إلى كل مكان، فإن عمليات الحرب التحريرية وأعمال الفداء تكاثرت وعمت تراب الولاية.

ومن جهة أخرى فإن كل حدث سياسي كان محل أشغال وفرصة لتنظيم وتأيير التظاهرات المقررة من جبهة التحرير الوطني، أو دحض وتنفيذ دعايات العدو.

واستقبلنا سنة 1957 بإمكانيات معتبرة ومعنويات مرتفعة وحماس فياض وكان زمام المبادرة بيد جيش التحرير الوطني بل كان في موقف هجومي متواجد في كل أنحاء الولاية بوحداته القتالية وفدائيه ومسبليه محققين الانتصارات الباهرة.

ولقد سجل جيش التحرير الوطني على أرض المعركة بطولات نذكر منها على سبيل المثال :

- 9 يناير 1957 كمين تزي فرانكو في بلدية مناصر دائرة شرشال بقيادة الشهيد بن موسى محمد (حمدان) حيث غنم جيش التحرير رشاش 2-7/12 رشاش 30 .

- 2 ف م بار- 35 بندقية - قاراة - 36 مسدس - رشاش 49-1 كرايين أمريكية -6 مسدسات و10 بنادق صيد.

وفي 28 فبراير 1957 كمين الداموس الذي نصبه كوماندو الولاية بقيادة سي سليمان ومساعدوه سي يحي وعكاشة وسي محمد ومصطفى عز الله وعبد الحق هنوفي الذي استشهد أثناء الهجوم وغنم :

-2 مدافع رشاش 30-2 بندقية رشاش و ر.ب.م-2 بندقية رشاش روابال انتزعت من الطائرة المسقطه -68 أسلحة أوتوماتيكية مختلفة.

- في مارس 1957 كمين خربوش قرب طريق بن زياد (ماربو سابقا) بقيادة سي نور الدين إذ غنم فيه كوماندو المنطقة -3 مدافع رشاش 12/7 وآخر 30/20 قطعة أخرى من الأسلحة الحربية.

- مارس 1957 كمين الشريعة الذي قاده الحاج الأخضر حيث غنم جيش التحرير الوطني 16 قطعة من الأسلحة.

- ماي 1957 (اشتباك توتيا) (الحسانية دائرة عين الدفلة) حيث اسر نقيب وعريفان من طرف كوماندو المنطقة وأبيدت كتيبة من جيش العدو وغنم جيش التحرير حوالي 40 قطعة من السلاح.

- 7 أوت 1957 اشتباك أولاد بني عيسى قرب المدينة بقيادة سي علي شرشالي (بن ضيف الله) حيث أسقطت 8 طائرات 2 (جاغوار) و 6 طائرات عمودية وقد عقيد كان على متن طائرة عمودية أسقطت.

- 13 سبتمبر 1957 كمين جبل ديرة صور الغزلان بقيادة المرحوم صديقي النوري (النهائي) تم فيه الاستيلاء على 30 قطعة من الأسلحة ورشاش من نوع ف م بار.

- 16 أكتوبر 1957 وعلى أبواب مدينة مليانة في زقالة اشتبك فوج من 9 فدائيين تحت قيادة سي عبد العزيز على كتائب من رجال المظلات كانوا تحت قيادة فقتلوا 17 رجلا منهم نقيب قبل أن يستشهدوا جميعا ماعدا واحدا، وانتقم العدو لقتلاه فاغتال 24 مدنيا.

- 2 ديسمبر 1957 كمين نصب في الطريق الوطني -شلف- برج بونعامه (موليار سابقا) نظمه سي محمد بونعامه (قائد الولاية الرابعة) وكان على رأس الفيلق، ومن جملة خسائر العدو اسقط طائرة استكشاف، كل هذه العمليات وغيرها كثيرة تبين أن جيش التحرير الوطني

كان يحقق نصرا بعد نصر الأمر الذي بعث الطمأنينة التي لا تترك المجال لتقدير القوى حق قدرها كما سنرى ذلك فيما بعد.

أن جنود جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة كان معظمهم من الشباب معدل العمر فيهم يتراوح بين 20، 22 سنة وحتى في مستوى القيادات كان عدد الشباب كبيرا وهذه ظاهرة تميزت بها الولاية طوال مدة الكفاح وتضافرت في هذا الشباب المتحمس للتجربة الموروثة عن أسلافهم المناضلين في الحركة الوطنية وبعد نداء 19 ماي 1956 التحق عدد كبير بالجبال من تلاميذ الثانويات وبعض الطالبة لتدعيم صفوف النظام في الولاية جاؤوا من ثانويات ابن عكنون - البلدية - المدية - ومليانة - والشلف - ومن كل ثانويات مدن الجزائر وكان العمل يندرج ضمن عقلانية خاضعة للقواعد التنظيمية الأساسية السارية المفعول في كل وت وهي :

- الاجتماع

- الرقابة

- الانضباط

- السلم التصاعدي

- التقرير وعرض الحال

- النقد والنقد الذاتي

إن النشطة جبهة وجيش التحرير الوطني التي كانت تحمل في ثناياها قيما ومثلا عليا واضحة محددة (الحرية، التحرر، الإنصاف، الإيمان، الديمقراطية، الأخوة) الخ.

كانت على موعد مع طموحات الشعب الذي اكتشف أن جيشه انعكاس لوجوده فهو ينميه ويثريه بالانتماء إليه والالتزام نحوه، وحصل الالتحام الحقيقي بين الجيش والشعب والعمل النضالي الذي يعتبر واجبا قد زاد في قيمته ووزنه فصار خلقا يتخلق به ثم أصبح حقا يطالب به المواطن الذي لا يرضى ان يبقى على هامش الثورة.

واعتبرت المسؤولية تكليفا لا تشريفا والمسؤولون في الولاية الرابعة أسسوا نظاما يحظى بحيوية فائقة بفضل العمل والمثابرة واستغلال مزايا الشرح والحوار ووضعوا أخلاقيات ثورية صمدت أمام مشاق الحرب وان مصلحة النظام فرضت انضباطا متشددا ذلك هو القانون الأساسي الذي يسري في حق الجميع قادة ومسيرين ورؤساء ومرؤوسين وسرعان

ما أتى هذا النظام بثماره وكانت فوق المستوى المرجو لان الولاية لم يكن ينقصها الإطار، وكان سلم الهياكل كآآتي :

- لجنة الولاية
- مجالس المناطق
- مجلس النواحي
- مجلس الأقسام
- مجالس نصف القسم أو الدوار

هذه الهياكل تتكامل ولا تتعارض ترحب وتنشد الإعلام الدائم من القمة الى القاعدة ومن القاعدة إلى القمة، وتحقق الإعلام الواسع بفضل شبكات الاتصال الكثيفة التي تواجدت بين المناطق وفي النواحي فيما بينها وبين الأقسام ووفرت إعلاما موسعا قلل من ضرورة التقسيم الإقليمي، وكانت المهام السياسية والعسكرية والاستعلامات والاتصالات تغطي كل جوانب الكفاح إذ لا حاجز يفصل بينها ويمنع تظاهرها فهي محددة بالنسبة للمسؤولين وليست صلاحيات خاصة لا تقبل التدخل.

أ- الميدان السياسي :

إن مطالب الشعب الجزائري كانت مطالب سياسية جندت جبهة التحرير الوطني لهذه المهمة الوسائل والرجال على مدى طول سنين الحرب التحريرية وخاضت معركة سياسية عسكرية تجاوز مضمونها هدف استرجاع السيادة الوطنية.

ومما لاجدال فيه أن المحافظ السياسي الذي كان على رأس اصغر وحدة إقليمية على حسب قرارات مؤتمر الصومام قد أنجز أعمالا ضخمة إذ كانت مهمته تتمثل في :

-**التنظيم السياسي** : كان الشعب مهيكلا في خلايا وأفواج وفرق أو دواوير حسب طبيعة الميدان، ففي السهول والمراكز العمرانية تحت السلطة المباشرة للمحافظ السياسي كان التنظيم لأسباب أمنية محاطا بالسرية التامة مما اوجب اختيار أسلوب التنظيم المنفصل عن بعضه البعض في خلايا وأفواج متخصصة في المهام الآتية :

- جمع المال
- جمع الأدوية
- تنظيم المراكز

- جمع الاستعلامات حول تحركات العدو وكشف الخونة
- الاتصالات

-المراكز العمرانية : كان التنظيم في الخلايا هو لسائد مع استعمال أفضل لمؤهلات كل مناضل حتى إضراب 1957 وكان على رأس النظام بالمدن لجنة، وكان العمل الفدائي منفصل عن باقي النشاطات الأخرى.

وبعد الإضراب انكشف ضعف هذا الأسلوب في التنظيم فانتهج جيش وجبهة التحرير الوطني أسلوب فصل فروع النظام عن بعضها وتكوين خلايا مصغرة.

وكانت المراكز العمرانية والسهول مصدر إمدادات الثورة في أعماق الجبال تزودها بالتموين واللباس والأدوية والمعلومات عن المتعاونين عن العدو والخونة.

وبعد تحطيم نظام المدن وما أعقب الإضراب من قمع أصبح النظام في المراكز العمرانية تحت المسؤولية المباشرة للمحافظ السياسي المتواجد في احواز المدن أو بالمراكز المهيأة داخل المدن نفسها.

لقد عرفت الجزائر العاصمة في هذا الوقت فترة فراغ أو انقطاع في التنظيم من جراء المحنة الصعبة التي عرفتها منطقة العاصمة بعد الإضراب والقمع الأعمى الذي انصب على الشعب من طرف العدو.

ولقد تم لقاء في شهر ديسمبر 1957 بين عمر اوصديق (سي الطيب) مفوض الولاية الرابعة من طرف سي أمحمد وسي عميروش ممثل الولاية الثالثة وتقرر ترك أمر إعادة تنظيم منطقة العاصمة لإخواننا بالولاية 3، أما الولاية 4 التي يمتد نفوذ أقسامها إلى حدود العاصمة، فقد ضمننت إدخال المسؤولين وهم :

- خليفة بوخالفة

- محمد صغير سعيداني

- أحمد شيشة

وما أن وصلوا إلى العاصمة في شهر جانفي 1958 حتى شرعوا في إعادة ربط النظام المتصدع، وهاهم بعد أربعة شهور يستشهدون في مجابهات مع العدو.

- استشهد بوخالفة في (ساكري كور) قرب شارع ديدوش مراد.

ولحق به بعد مدة شيشة بالشراقة وبعد مدة أخرى القي القبض على محمد الصغير واعدم.

وتفاديا للفراغ السياسي و التنظيمي الذي هدد العاصمة وإمام انعدام القرار السريع من القيادة الوطنية فان مسؤولي الولاية الرابعة بادروا إلى إعادة تنشيط النظام والفداء في العاصمة.

وهكذا في ماي 1958 عين مجلس الولاية احمد فخار المناضل السابق في حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية وأول مسؤول للنظام في مدينة المدية وكلفه بإعادة تنظيم العاصمة وقد القي عليه القبض بعد مدة وجيزة.

ورغم هذا بقيت العاصمة محافظة على بعض هياكل التنظيم من غير لجنة مسؤولة عن تنسيق النشاط واستعملت كل ولاية المناضلين الذين ينتمون إليها لتنظيم شبكات جمع المال والمؤن.

وكان للولاية 4 الوجود المستمر والنفوذ الأكبر بسبب عاملين اثنين

امتداد المنطقة الأولى والثانية حتى ضواحي العاصمة حيث كانت المنطقة الأولى تشمل برج الكيفان والحراش، والمنطقة الثانية تصل إلى بئر خادم والشرافة.

وامتاز التنظيم في الساحل ومنتجة بنشاطه الكثيف حيث تواجد المحافظون السياسيون والمسؤولون والفدائيون. إذن نستطيع القول، رغم القمع الشديد والاعتقالات وعمليات خطف المناضلين الشيء الذي خلق في بعض الأحيان جوا من الحذر والفضول المحسوس يخيم على الشعب، ومع هذا فان (جبهة وجبس التحرير الوطني بالولاية الرابعة لم يتوقفا أبدا عن إزعاج العدو في العاصمة وممارسة الضغط في ربوع منتجة والساحل حول العاصمة، وإرغام المسؤولين العسكريين الفرنسيين على التمسك بنظام منع التجول طيلة سنة 1958 وحتى الاستقلال.

لقد اثبت جيش التحرير الوطني بالعاصمة وحول العاصمة للشعب بان جيش التحرير الوطني دائما هنا في الميدان بعزمته وتصميمه ورغم تبجح العدو(بنجاح عملية التهدة).

ونذكر من بين العمليات :

- الهجوم على حافلة بزرادة في فيفري 1957، انتقاما لمجزرة قليعة
- تنفيذ حكم الإعدام في بوعلام قراص (بلو) في شارع لالير سابقا في شهر ماي 1958 من طرف تنظيم المنطقة الأولى.
- اشتباك أولاد بالحاج بالسحاولة، حيث استشهد بوعلام الشرشالي مسؤول الناحية الأولى من المنطقة.

إن العدو بواسطة مصالح المراقبة، اغتتم فرصة إعادة تنظيم العاصمة لتسريب الزرق (ليلو) في أوساط النظام وبث الشك والبلبل في الولايات المجاورة.

وفي تلك الأثناء تواصل الكفاح في الولاية الرابعة أكثر توسعا واشد عنفا حيث لم يخل أي قسم أو ناحية أو منطقة من الكمائن وخصوصا من الاشتباكات المتزايدة والمضاعفة لعدد القتلى.

- وهكذا في 16 جانفي 1956 نصبت لكتيبة الكريمية كميناً تحت قيادة الشاب (الطاهر بوشارب) على حواشي سد وادي الفضة ببني بوستور واستغل جنودنا الضباب الذي غطى المكان فأبادوا كتيبة كاملة واسروا منها 28 فرداً، أطلقت الحكومة الجزائرية المؤقتة سراح اثنين منهم سنة 1960 بالمغرب.

- وفي 5 مارس نسجل اشتباك بوقعدون قريبا من سهل بني سليمان حيث كانت أربعة كتائب تحت قيادة سي الأخضر المسؤول العسكري للولاية وأسفر هذا الاشتباك عن استشهاد 72 مجاهدا منهم سي الأخضر وسي عبد العزيز وكانت خسائر العدو مرتفعة جدا (انظر الجرائد الفرنسية في تلك الفترة).

- ويوم 22 افريل 1958 ببوقعدن نذكر الاشتباك الذي استشهاد فيه 60 مجاهدا حيث هاجمت القوات الجوية الفرنسية المخدولة جنودها مما سمح بانسحاب جيش التحرير الوطني والقضاء على أكثر من 250 من أفراد العدو، وغنم جيش التحرير مدفعين رشاشين 29/24 وأربعين 40 قطعة من السلاح.

- وفي 5 جويلية سنة 1958 نسجل أيضا اشتباك جبل دوى قرب عين الدفلة وأسقطت الكتيبة الحسانية طائرة جاقوار.

- وفي مقورنو يوم 30 ديسمبر 1958 اشتبكت الكتيبة العمرية وبعد الغد وفي نفس المكان اشتبك الفيلق (ابن باديس) المكون من الكتيبة الزبيرية والحمدانية والعمرية وفصيلة من الكتيبة الجلولية من المنطقة الأولى للولاية السادسة انسحبت إلى الولاية الرابعة من جهة وقوات كبيرة للعدو، ونذكر من جملة خسائر العدو إسقاط ثلاث طائرات، واستشهد 144 ما بين جنود ومدنيين.

- هذا النشاط العسكري المكثف كان يجري تحت ظل نظام محكم ساد بالأرياف وتحسن مع مرور الأيام.

إذا كانت عراقيل كثيرة اعترضت تطور النظام بالمدن، إذ كان الحذر شديداً، فإن النظام بالأرياف في أوساط جماهير الشعب إذ يستطيع المحافظ السياسي العمل في رابع النهار ظل يسير ويتطور بنجاح.

إن المحافظين السياسيين اضطلعوا بنشاطات مكثفة إذ كان كل دوار تحت حماية ومراقبة النظام.

لقد شمل نشاط المحافظ كل قطاعات الحياة في الدوار.

التربية السياسية : كانت تعقد اجتماعات عامة لسكان الدوار قصد توعيتهم وشرح مغزى الكفاح.

ب- الشؤون الاقتصادية والاجتماعية :

في بعض النواحي عندما تسمح ظروف الأمن فان المحافظ السياسي كان ينظم أسواقا تلتقي فيها الأعراش وسكان الجبال بسكان السهول للتبادل التجاري.

التربية:

كان المحافظ السياسي يشرف على تسيير المدارس القرآنية المتواجدة وعممها على كل الدواوير، ولم يقتصر هذا على الأرياف بل تعداها إلى المدن إذ كانت المدرسة الزبيرية بالمدينة ومدرسة الإرشاد بالبلدية يمولهما جيش التحرير ويسيره مناضلون.

الأمن:

وضع في الميدان مصالح الشرطة والحراسة ليلا ونهارا للسهر على امن الشعب وجيش التحرير الوطني، وفي هذا الموضوع وبالونشريس تم وضع أسلوب للمراقبة يحذر الشعب من الطائرات الاستكشافية والمقبلة لدى إطلاق هذه الآلات الفتاكة من قواعدها بالشلف.

- تنظيم الاتصالات

- تجنيد المسبلين

- جمع المال والتمويل عن طريق الزكاة والاشتراكات والهبات وغيرها

والى جانب المحافظ السياسي وطبقا إلى قرارات مؤتمر الصومام أنشئت لجنة الخمسة هذه الهيئة التي نلمس حضورها طوال فترة 1957/1958.

وكانت هذه الهيئة نابعة من السكان المناضلين معبرة عن إرادتهم فسهرت على تنظيم الحياة اليومية للمجتمع.

وتتكون لجنة الخمسة من :

- رئيس الدوار وهو رئيس اللجنة والمسؤول المباشر أمام المحافظ السياسي.

- مسؤول الأمن والمراقبة

- مسؤول الشؤون الاجتماعية والثقافية

- مسؤول القضاء والإدارة

- مسؤول المالية والتمويل

كانت هذه الهيئة تحت إشراف المحافظ السياسي وبعد تنظيم هذه الهيئة منع جيش التحرير الوطني التعامل مع الإدارة الفرنسية وأمر باللجوء إلى الإدارة الفرنسية وأمر باللجوء إلى الإدارة الموازية التي أنشأها في الدواوير البعيدة عن الحضور الدائم للجيش الفرنسي والسلطة القمعية.

فقامت هذه الهيئة بكل إجراءات تسجيل الحالة المدنية والأحوال الشخصية أما المنازعات فيتمك فصلها في محاكم جبهة التحرير الوطني.

إذا كانت جبهة التحرير الوطني أمرت بنزع البطاقات الشخصية من بعض المواطنين المناضلين حفاظا على النظام، فإن المواطنين في اغلب المناطق امتثلوا عن طواعة لهذا الإجراء.

واعتبر المواطنون المهيكولون من واجبهم رقابة المتخاذلين والمتعاونين وكشفهم.

لقد تحمل الشعب في الريف كل أهوال الحرب ورضي بكل التضحيات فكم من مرة قطع الرجال المسالك الجبلية أثناء الليل بأمر من المحافظ ثم عادوا في النهار تحت سيطرة الجيش الفرنسي لردم ما حفروه من خنادق ليلا.

لقد سهر المحافظ السياسي على أخلاق الشعب واستوجب عليه محاربة دعاية العدو كما كان عليه بعد كل عملية قمع يقوم بها العدو أن يجمع الدوار ويفضح ممارسات العدو، ويسعف المنكوب ويرفع معنويات الشعب.

-إن مكافحة دعاية العدو، وشرح الأهداف السياسية، والإعلام كانت مدعمة بمصلحة مختصة وهي مصلحة الدعاية والإعلام.

الإعلام والدعاية :

لاشك أن الدور الهام الذي لعبه الإعلام والدعاية المكتوبة والمسموعة أثناء ثورة التحرير هو من اكبر مميزات الكفاح المسلح في الجزائر وفي هذا الميدان كما هو الحال في ميدان حرب العصابات فإن جبهة التحرير الوطني بوصفها حركة تحريرية تنتمي إلى العالم الثالث كانت أول من وضع سياسة إعلامية تتميز بفنيات وطرق تجتنب العفوية والارتجال، تفاجئ العدو وتبهته وترفع القناع عن نواياه الحقيقية.

وإذا كان المسؤولون السياسيون في المدة التي سبقت مؤتمر الصومام هم الذين يضطلعون بمهام الإعلام، فلقد واكب في الولاية الرابعة إنشاء مصالح تختص بالمهام الإعلامية ووضع الهياكل التنظيمية السياسية والعسكرية المنبثقة عن المؤتمر، وكانت هذه المصالح تغطي أحداث الكفاح في تراب المنطقة أو الناحية كالعاملات الحربية التي يقوم بها جيش التحرير الوطني والجرائم والقمع التي يقترفها العدو ضد السكان العزل.

فالمنشور الموزع والإشاعات المتناقلة بين أفراد الشعب كانت مصالح الصحافة والدعاية تخوض كفاحاً خفياً متواصلاً مستميتاً ضد (مصالح النشاط الاجتماعي) ومصالح المكتب الثاني كما كانت تشهر جرائم الخونة وتندد بها وكم كانت قرائح الشباب الثورية المؤطرة لهذه المصالح ثرية وحكيمة في استغلال الحدث وبث الإشاعة حوله.

وإذا كان في مستوى الولاية قد اصدر في أواخر 1956 الشهيد عبد القادر سوكال والأخ بوعلام أوصديق نشرة دورية عرفت بعنوان (حرب العصابات) فقد عمدت لجنة القيادة إلى وضع هيكل خاص يتكلف بالإعلام المعني الواسع وعرف باسم (مصلحة الإعلام والدعاية) للولاية الرابعة وقد حصل ذلك في فبراير 1957 ويمكن تلخيص المهام التي أنبسطت بهذه المصلحة.

1- كان على الهياكل والهيئات الجديدة التي أوصى بها مؤتمر الصومام أن تعمل على إن يعمم النظام الثوري على تراب الوطن وذلك باستجلاب وتنظيم المجموعات السكانية التي كانت تعيش في تردد وحيرة من أمر الأحداث لأن العدالة القضية التي تكافح من اجلها جبهة وجيش التحرير الوطني لم تستقر بعد في الأذهان، كما كان عليها أيضا أن تكتسح معاقل الخونة الذين صرحوا بولائهم للاستعمار الفرنسي وخدمة مصالحه

فكان على مصلحة الإعلام والدعاية، في هذا الموضوع أن تقنع المترددين بالشرح والتفهم وان تشهر بالخونة بين أوساط الشعب وان تندد بهم.

2- ثم إن إضراب الأيام الثمانية ووجود العاصمة بين أحضان الولاية غير البعيدة عن تنظيماتها قد احدث فيها إثراء مفاجئاً بالرجال إذ حلت بالولاية جموع كبيرة من المناضلين والمواطنين جاؤوا من العاصمة ومن مدن أخرى وكان اغلبهم لا يعرف إلا القليل من أهداف جبهة التحرير الوطني، بل كان منهم من ينهل من مشارب أخرى متباينة وقد استقبلت هؤلاء الشباب الهياكل السياسية والعسكرية وتولت أمرهم بصفة مباشرة، وكان على مصلحة الإعلام والدعاية أن تساعد عن طريق ما تكتبه وتنشره على تفهيم لماهية جبهة التحرير الوطني ولأهمية البرامج التي وجدت من اجلها، وبعبارة أخرى جعلت من نفسها وبمنشوراتها مدرسة للتكوين السياسي للمجندين والمتطوعين الجدد.

3- وعرفت سنتا 1957-1958 سلسلة من اكبر العمليات الحربية وكان جيش التحرير الوطني يملك حقا زمام المبادرة، والجنود ينتزعون السلاح من أيدي العدو في الكمانن والاشتباكات، إن سرعة التحرك عند الوحدات المسلحة والشجاعة الفائقة التي يتحلى بها المجاهدون والمسبلون والفدائيون كل هذا كان يكبد الجيش الفرنسي الهزيمة تلوى الهزيمة على الرغم من حملات القمع والتقتيل التي كانت تتوالى على المدنيين العزل من السلاح.

كانت مصلحة الدعاية والإعلام تعكس هذه الأحداث في التحقيقات والبيانات والبلاغات التي تتضمنها جرائدها ومنشوراتها إذ كان يتعين عليها أن تطلع المواطنين الذين يئنون تحت القمع والمعنقات ومراكز التجمع أو في المدن والقرى، بما كان يجري تجعلهم يتقاسمون مع

المجاهدين حماس المعركة ومفاخر الانتصارات التي تحققت جبهة وجيش التحرير الوطني والآلام التي تخلفها أجهزة القمع الاستعماري.

وفي تلك الأثناء كانت فرنسا ترزح تحت ثقل الحرب فتزعزعت أنظمتها السياسية وقاعدتها الاقتصادية على الرغم من ضخامة المساعدات التي كانت تتلقاها من حلفائها في الحلف الأطلسي كما كانت قد أدركت أن ساعة نهاية الاستعمار القديم قد دقت في الجزائر، وأنه يتعين عليها انتهاج سياسة تريحها من تكاليف الحرب وتحفظ لها استغلال ثروات الجزائر وبمعنى آخر فإنها رأت أنه من الضروري العمل على إحلال الاستعمار الجديد محل الاستعمار القديم، وأظهرت في سبيل ذلك مفاهيم وشعارات جديدة حاولت بكل الوسائل أن يعتنقها الجزائريون.

وقد تجسم هذا المنعرج في أرض المعركة من جانب فرنسا بتوسيع وتكثيف عمليات الاكتساح والتمشيط العسكري وإن كان ذلك كثيرا ما يعرض جيوشها لخسائر أكبر من التي تلحق بجيش التحرير الوطني، كما ظهر ذلك بالنسبة للشعب بمحاولة أجهزة الدعاية الفرنسية تضليله ومخادعته ببعض المشاريع والشعارات لعزله عن جبهة وجيش التحرير الوطني ثم إجباره على قبولها وسائل القمع والتقتيل، وإن ذلك لم يجد فرنسا نفعا وكانت فيه كالحقائب على الماء لأن الجانب الجزائري زاد من يقظته وحكمة تصوره فلقد عزز وطور كل هياكله السياسية والعسكرية حتى يتواجد النظام الثوري بجانب الجماهير في كل مكان وتتكشف لها مناورات ومخادعات السياسة الجديدة ولنذكر من أشكالها مثلا: القانون الإطارى- الربع ساعة الأخير- حركة 18 ماي 1958- سلم الشجعان.

- وفي عملية تنفيذ شعارات العدو المخادعة ورفع القناع عن مشاريعه الاستسلامية لعبت مصلحة الإعلام والدعاية للولاية الرابعة، ومصالح الصحافة في المناطق دورا في غاية الأهمية إذ كانت مقالاتها ومنشوراتها تتناول بالتحليل الدقيق مشاريع العدو وتبرهن على زيفها وخدعتها وكثيرا ما كان يعلو المنشورات والملصقات طابع التهكم والازدراء بأجهزة الاستعمار المخصصة للدعاية عند القبض على المواطنين، وتراه يبحث عن مراكزها في عمليات التمشيط والاكتساح.

4- وانيطت بمصلحة الإعلام والدعاية في الولاية الرابعة مهام أخرى لا تقل أهمية تمثلت في الجانب من أعمالها الذي كان يقصد الفئات الفرنسية والأوروبية على وجه الخصوص والتي كانت الحرب الاستعمارية لا تخدم مصالحها ومن هذه الفئات الشباب الفرنسي الذي كان قد أكره على التجنن لهذه الحرب ورجال الكنيسة العاملين في الجزائر، والفئة الأوروبية من المستوطنين المستضعفين الذين كانوا أداة طيعة تخدم مصالح المغامرين. ونذكر الآن المطبوعات التي كانت تصدر باللغتين الوطنية والفرنسية عن مصلحة الإعلام والدعاية مع الإيجاز في التعريف بها :

(1)- مجلة دورية عنوانها (الثورة) وشعارها (هدم السود وتحطيم القيود) وحجمها كثيرا ما كان يتجاوز 30 صفحة كانت توزع على المجاهدين والمواطنين في الأرياف وفي مدن وقرى الولاية الرابعة، وكان يصل منها إعداد إلى العاصمة كما كان يرسل منها نماذج إلى الولايات المجاورة، ومن حيث المحتوى فكان ينشر فيها بجانب البلاغات الحربية ووصف المعارك الكبرى لجيش التحرير الوطني عروض حول أشكال التنكيل والقمع التي يعانيها الشعب ودراسات إسلامية وتصور المجاهدين لجزائر الاستقلال مع تحاليل لمشاريع العدو.

(2)- نشرة داخلية كانت تصدرها مصلحة الإعلام والدعاية من حين لآخر وتتوجه خاصة للإطار المجند في جبهة وجيش التحرير الوطني وفي موضوع الصلاحيات وتسيير الهيآت، ومزايا التنسيق وأخلاقيات الثورة، ونشر بعض المفاهيم.

(3)- المناشير والملصقات، وقد يحتوي المنشور على نداء للسكان أبناء الوطن أو تحذير لفئات من المستوطنين أو يتناول حدثا من الأحداث الظرفية، يندد بعملية من عمليات القمع أو بجرائم الخونة أو يحي عملا بطوليا قام به جيش التحرير الوطني أو الفدائيون أو المسبلون وكانت الملصقات كثيرا تتضمن رسوما للقادة الفرنسيين في مواقف هزلية مع مشاريعهم.

إن العمل في مصلحة الإعلام والدعاية كان عملا جماعيا كما كان عليه الحال في باقي تنظيمات جبهة وجيش التحرير الوطني، إذ كان يشارك في التحرير أعضاء من قيادة الولاية ومسؤولون آخرون في الهياكل، وكان المحررون المراسلون جنودا في الوحدات وكانت هناك هيئة مسؤولة تشرف بصفة مباشرة بعد اخذ توجيهات من لجنة الولاية حول اختيار الموضوعات والتحرير والإخراج.

ومن الشهداء الذين شاركوا في هذا النشاط الإعلامي : احمد أرسيلان (حاج حمدي احمد) عبد الرحمن العيشاوي (خليل) وقدور العربي (دكتور في الحقوق) المختار السائحي – والسعيد عصمان. وتحت إشراف الإخوة بوعلام أو صديق واحمد زميرلين.

أما موضوع الوسائل المادية من آلات كاتبة وآلات السحب والورق والمداد فيكفي أن نقول فيه أن ملاحم – دامية في بعض الأحيان عاشها النظام في المدن وفرق المسبلين من أجل الحصول على أدوات العمل والوصول الى مراكز المصلحة، ثم إنها أدوات تتعرض بسهولة للعطب والتلف خاصة وان المحلة كانت لا تثبت طويلا في مكان حتى لا يكتشفها العدو إذا ما حدث عطب في أكثر منها اضطر أصحابها إلى تصليحها بالوسائل المتوفرة إذ لا يتصور نقلها إلى الورشة المختصة بالمدينة، وقد حدث أن ضاعت آلة ساحبة في كمين نصبه الجيش الاستعماري في أكتوبر 1957 لفرقة المسبلين التي كانت حاملة إياها وحتى لا تتعطل المصلحة جاءت قريحة مسؤولها بفكرة صنع آلة ساحبة عملا بالمبادئ الأولية التي تقوم عليها الطباعة ففعل ذلك وأخذت بالفكرة الناجحة مناطق أخرى.

- وخلاصة القول بالنسبة لمصلحة الإعلام والدعاية كما هي الحال بالنسبة للمصالح الأخرى والتي كانت تخدم ثورة التحرير هي أن هناك تباينا كان بين قلة الوسائل المتوفرة لديها وبين ضخامة الأهداف التي كان عليها أن تحققها وحققتهما فعلا بعون الله وتوفيقه.

وفي نهاية الجانب الإعلامي تجدر الإشارة إلى الدور الكبير الذي لعبته البرامج المخصصة للثورة الجزائرية في بعض الإذاعات بالدول الشقيقة والصديقة نذكر منها :

- صوت العرب من القاهرة.

- إذاعة تونس.

- طانجة بالمغرب.

- إذاعة بغداد بالعراق وإذاعة ليبيا وبلغراد

- والتي كان لها تأثير عميق في شحذ همم المجاهدين والمواطنين وتقوية عزائمهم وفضح مخططات العدو ودعايته الخبيثة ببرامج ثورة وطنية وكانت أجهزة الإعلام بالولاية الرابعة تمد هذه الإذاعات بما كان يحدث من معارك وعمليات الفداء بواسطة أجهزة الإعلام للثورة في الخارج.

إن هدف جبهة التحرير وجيش التحرير هو دعم الانتماء إلى المجموعة المستوطنة الأخرى (الاستعماريون) لأن المجموعة الوطنية هي مجموعة كفاح من أجل تحرير نفسها.

إن الانتساب إلى الجبهة سمح لطبقات الشعب التي كانت لا تعرف الكثير عن بعضها البعض بالاتحاد حول متطلبات القضية الوطنية م أن الاتصال بين سكان المدن وسكان الأرياف ما كان يتم دون صدمة في بداية الأمر ولكن التأقلم السريع لسكان المدن، وروح التفتح وحب الاطلاع لدى سكان الأرياف، سمح بانصهار المجموعات وأعطى نتائج ممتازة لصالح النظام.

إن التحاق بعض الطلبة، ومجموعات كبيرة من تلاميذ الثانويات نشط هياكل جبهة وجيش التحرير الوطني، فالتلاميذ بدورهم اكتشفوا عالم الريف، الذي كلما زاد ضعفا في الاقتصاد، والحرمان من الثقافة ازداد ترحيبه واستقباله لجيش التحرير الوطني بدون تحفظ.

لقد كان الكفاح كلا لا يتجزأ وجبهة التحرير الوطني وسعت المعركة لتشمل كل الميادين منها :

- مقاطعة الإدارة الفرنسية وعدم اللجوء إليها.

- رفض الاستفادة من الترفقيات.

- الامتناع عن المشاركة في النشاط العمومي للعدو.

- منع اللجوء للمحاكم الفرنسية.

- المقاطعة الاقتصادية.

لقد طبقت هذه الأوامر طيلة مدة الحرب.

ونمت جبهة التحرير الوطني في أوساط الشعب روح التعاون والتكافل، فعائلات المساجين والشهداء أسعفتها وساعدتها عائلات أخرى.

وما أكثر ما كانت جبهة وجيش التحرير الوطني يعتمدان على الجهود الشعبية.

وفي أوساط الشعب الريفي حيث لم يفقد تقاليده وعاداته فالتكافل والجهود الجماعية لشعب مكافح قد تطور أيما تطور من أجل قضية واحدة، وفي هذا الإطار كان المحافظ السياسي وأحيانا مصالح خاصة يقدمون مساعدات لضحايا القمع بتوزيع إعانات.

وفي الدواوير المحرومة كان الشعب يتمون بنفس الطريقة التي يتمون بها جيش التحرير الوطني و يتقاسم وجبات الأكل مع المجاهدين.

وأحيانا يتكفل جيش التحرير الوطني بتوفير اللباس لسكان الأرياف المحرومين.

مما لاشك فيه بالنسبة للمرأة الجزائرية فان حرب التحرير شكلت منعطفًا لارجعة فيه في تطور وضعيتها، أن مشاركتها في حرب التحرير عرضتها للقمع الذي صب عليها مثل الرجل، والمسؤوليات الجسام التي تحملتها أحيانا إذ كثيرا ما استوجب عليها تعويض رئيس العائلة في كل الميادين.

إن وجود مجاهدات من المدن في صفوف جيش التحرير الوطني ساهم في توسع آفاق المرأة وتماشيا مع الأخلاق الإسلامية الصحيحة أصبحت المرأة تلعب دورا كاملا.

وفي بعض الأماكن عينت مجاهدات للقيام بمهام الإسعاف والعلاج في وسط الشعب الريفي، ففتحن صدورهن للنساء والأطفال ولم يجدن أي صعوبة في الدخول إلى الأوساط العائلية، فقمن بشرح المبادئ الصحيحة وقواعد النظافة وبلغن للنساء كلمة الاستقلال والمساواة الاجتماعية.

إذا كانت جبهة التحرير الوطني قد قضت على العصبية والتمايز بين مختلف المجموعات الاجتماعية بين الريفيين وسكان المدن، واستطاعت ان تجعل الناس يتجاوزون الأحكام المسبقة المسطرة على المرأة الجزائرية فقد نجحت أيضا في أبطال مفعول الخرافات والشعوذة.

لقد سلكت جبهة التحرير الوطني هذه الخطة بحذر أول الأمر حتى لا تتصادم مع العقليات الخرافية المبنية على الجهل الذي شجعها الاستعمار في كل الأوقات ورعاها عملاؤه، وكان هذا الحذر سبب لكسب رهان توسيع النظام.

ابتداء من 1957 تبنت جبهة التحرير الوطني خطة أكثر حزما فالمحافظون السياسيون شرعوا في عملية تبديد الضلال ونشر الهدى والتربية الإسلامية الصحيحة فأثمرت أعمالهم وأدار الناس ظهورهم للمشعوذين.

وينبغي أن نشير أن العدو لم يدخر وسعا في تدمير قبب الأولياء التي كانت منتشرة في الأرياف حتى لا يستعملها المجاهدون.

المصالح الصحية :

إن تطور الكفاح المسلح ابرز منذ البداية ضرورة إنشاء نظام صحي مماثل للمصالح الأخرى المرتبطة بتنمية الثورة واتساع رقعة نشاطها، فان المصالح الصحية لعبت دورا في غاية الأهمية على الرغم من الظروف الخاصة التي عرفتها الحرب وواجهتها.

كان المجاهدون قبل مؤتمر الصومام يستتجدون بأطباء وممرضين جزائريين يأتون في الخفاء من العاصمة ومدن أخرى ليعالجوا الجرحى في المد اشر ثم يعودون إلى أهاليهم.

تجدر الملاحظة أن سلك الأطباء الجزائريين في ذلك الحين كان محدود العدد وإذا كان منهم من يلبي الطلب بدون تردد فكان منهم أيضا من يفعل ذلك على مضض.

وقد تكونت منذ ربيع 1956 في الولاية الرابعة وبالتعاون مع مسؤولي النظام في العاصمة شبكة تتولى نقل المجاهدين المرضى إلى داخل المدينة حيث كانوا يعالجون في بعض العيادات وحتى المستشفيات بمساعدة أطباء جزائريين وبعض أطباء فرنسيين أحرار.

واستعملت ضيعة قرب برج الكيفان كمركز صحي للعبور يتوقف فيه الجرحى قبل دخول العاصمة أو بعد خروجها.

وفي ذلك الحين أيضا فان مسؤولي جبهة التحرير الوطني وعيا منهم بالحجم الكبير الذي سوف يأخذه الكفاح المسلح فيما بعد قد اشرافوا على تنظيم سلسلة من الدروس لتكوين مسعفين وممرضين بالعاصمة من بين تلاميذ وتلميذات ثانويين تحت مسؤولية الحكيمين نقاش ونفيسة حمود وبمساعدة طلبة من كلية الطب.

ورأينا ابتداء من 20 أوت 1956 النظام الصحي يتهيكل بفضل مساهمة الممرضين المتكويين وتلميذات من مدرسة الممرضات.

وتتكيف مصالحه مع وضع هياكل جبهة وجيش التحرير الوطني في تراب الولاية الرابعة. وعليه فان الهيكلة الصحية كانت تقع حسب الإطار المتوفر بالتوازي للهياكل المقررة في المؤتمر وكان سلم رتب المصالح تابعا للتقسيم الجغرافي المعمول به في الولاية.

وفي السداسي الثاني من سنة 1956 تكونت مصلحة المنطقة الأولى في جبال الزبربر

قرب الأخرية، وأخرى للمنطقة الثانية في بهلى جنوب الشريعة وكان تسييرهما تحت مسؤولية الإخوة أرزقي السعيد (هرموش) ويوسف خطيب (حسان) وبن شرقي الحاج، والزميرلي سليم من جهة ومحفوظ إسماعيل دهلوك من جهة أخرى.

وكان من مهام مصلحة كل منطقة تكوين المسعفين العسكريين الذين يتوزعون على وحدات جيش التحرير الوطني، وسلمت للمجاهدين الذين يحسنون القراءة، بطاقات سجل فيها كل مل يتعلق بالإسعافات الأولية.

ووجدت هذه المصالح الطبية في سنة 1956 في منازل للمواطنين أو ملاجئ وضعها المناضلون فكانت الصعوبات قليلة نسبيا إذا استثنينا دورهم في أعمال العلاج وهو دور سياسي ونفساني ويدرك منه السكان أن لجبهة التحرير الوطني ولجيش التحرير إشارات يهتمون بصحتهم علاوة على مالها من وحدات حربية وهو دور تربوي كذلك إذ يدعم نشاط المحافظين السياسيين ونشر الوعي الصحي وقواعده.

وفي تلك المدة كان نظام جبهة التحرير الوطني في المدن والقرى يضطلع بعملية الإمداد بالأدوية إذ تتولى شبكة من المناضلين جمع لوازم العلاج من بعض الأطباء والصيدلة أو المناضلين الذين يعملون في المستشفيات والمصحات.

وعمليّة التزويد بالأدوية إن لم تكن غزيرة المحصول فكانت تتسم نسبيا بطابع الانتظام.

وابتداء من سنة 1957 ومع المنعرج الخطير الذي أخذه الكفاح المسلح وتوسيع العمل بنظام المناطق المحرومة فكان على المصالح الصحية أن تتأقلم هي كذلك وان تعيش ظروف الحرب باستمرار وتدفع الثمن القليل.

فصار أول الأمر من اللازم إقامة المصحات في الغابة وقرب منابع للمياه غير المقيدة في الخرائط العسكرية الفرنسية إن أمكن واستلزم ذلك صنع أكواخ من الخشب والعشب ووضع نظام خاص للاتصال بالمسؤولين المكلفين بالإخبار والاتصالات لضمان التزود بالمؤونة والأدوية.

ثم تطور الأمر ولمقتضيات أمنية أصبح من الضروري اخذ تدابير أخرى وهي :

- تخصص فوج مسلح لحماية كل مصلحة.

- إنشاء مركز للفرز يقع على بضع كيلومترات من (المستشفى) حتى لا يكتشف المكان لذوي الجروح الخفيفة والذين لا تستلزم حالتهم الإقامة فيه.

- اجتناب الدخان حتى لا تلاحظه طائرات العدو الاستكشافية.

- حفر مخابئ يمكن العيش فيها لذوي الجروح الخطيرة الذين لا يستطيعون التنقل في حالة عدوان مفاجئ.

- بناء مستودعات للمؤن والأدوية.

- حفر الخنادق للجوء فيها عند القصف المدفعي والجوي.

واحترمت بكل دقة هذه التدابير التي وضعت للدفاع والتستر ذلك أن العدو كان لا يألو جهدا في البحث عن موقع المصحات التي كثيرا ما تكون محل هجومات مفاجئة.

وفي نفس المكان الذي تقع فيه المصحة وبعيدا عنها شيئا ما تجهز أكواخ يلتجأ إليها بسرعة إذا تسرب الخبر بان العدو على وشك القيام بعملية محدودة.

وهكذا كلما تعددت المضايقات وتضاخمت تصاعدات المشاق واشتدت على سير أعمال المصالح

الطبية. فقد تزامن إنشاء مصحات جديدة في تراب المنطقة الثالثة مع توسع جيش التحرير الوطني نحو غرب الولاية.

وفي كل المناطق ونواحيها فقد صدرت تعليمات من رؤساء المناطق حددت مساحات اعتبرت مناطق صحية يمتنع جيش التحرير الوطني عن القيام فيها بأي نشاط عسكري ويتقي إلى أقصى حد العبور عليها حتى تتمتع بفترات من الهدوء النسبي تسمح بشفاء الجرحى.

لم يكن كل هذا من الأمر السهل، ويكون من الخطأ تصور هذه المستشفيات كتلك التي تحظى بها

الحروب الكلاسيكية والتي تقام في الخلف، فالحرب كانت في كل مكان ومن النادر ان تمكث المصلحة في مكان واحد أكثر من ثلاثة أشهر.

وعلى كل حال فقد شهدت نهاية 1957 إقامة المصحات في كل منطقة وفي كل ناحية عبر تراب الولاية الرابعة ومنها ما يبقى كراها خالدا في الأذهان على الرغم من عمليات التمشيط والانتقال من مكان إلى آخر، ولنذكر منها على سبيل المثال :

1- في المنطقة الأولى :

- مصحة الزبربر.

- مصحة بوكرام وبوخلفون.

- مصحة بني زرمان قرب تابلاط.

- المنطقة الرابعة وجبل ديرة.

2- في المنطقة الثانية :

- مصحة المنطقة بهلى جنوب الشريعة، ثم في الحمدانية (الكرارش ادمنو ند دودي سابقا).

- مصحة الناحية في أولاد ونيد جنوب المدينة.

- مصحة طالطوالب.

- مصحة بوحرب جنوب شرشال.

3- المنطقة الثالثة :

- مصحة المنطقة في بني بو عمران شمال مليانة.

- بني نمرحبا.

- مصحة باب الكبوش الونشريس.

- مصحة طيايين قرب ثنية الأحد.

- مصحة جبل بيصة قرب تنس.

- مصحة عمرونة ثنية الأحد.

كل هذه المراكز المخصصة للإسعاف كانت تستقبل الجرحى الذين يصلون إليها بعد معاناة كبيرة لفقدان وسائل النقل.

ثم إن المصابين في المقاتل بجروح خطيرة في البطن والصدر أو الرأس فكانوا نادرا ما يصلون إلى المصحة للأسف فيمتون في ميدان المعركة أو في الطريق بعد إسعافات أولية يقدمها ممرضو الوحدات أما الذين يتمكنون من الوصول إلى المصحة هم أصحاب الكسور خاصة ذو الجروح التي أصابت الأماكن الرخوة من الجسم غير المقاتل والأعضاء الحيوية وكنا بالطبع لا نملك أجهزة التشخيص ولا أجهزة التحليل ونقل الدم، ولكن العلاج كان يتم بكل تفان وإخلاص، وكم هم كثيرون الجرحى الذين استأنفوا القتال بعد الشفاء وسقطوا في ما بعد شهداء في ميدان الشرف.

إن حالات جبر الكسور واستئصال الرصاص وشظايا القنابل والمتفجرات وبتتر الأعضاء كانت تجري في ظروف صعبة وفي اغلب الأحيان بدون تخدير ولو جزئي.

وحسب الظروف والوضعية المعاشة في حالة فقدان الأدوية وخاصة منها المضادة للجراثيم أو في حالة قيام العدو بعمليات عسكرية حيث يضطر الجرحى إلى الانتقال السريع من مكان لآخر بسبب كل هذا يتباطأ الشفاء وتحدث المضاعفات.

والجرحى في جيش التحرير الوطني بالرغم من صبرهم كانوا يقضون أياما كلها عذاب ولذا كنا نتفهم لما كان يختلج في صدور الجنود حيث يتمنى بعضهم (أن تصيبه ضربة قاضية في ما إذا أصيب).

كان المجاهدون الأعضاء في المصالح الصحية يتحلون بالتفاني في العمل وبروح التضحية وإنكار الذات وتجدر في هذه المناسبة الإشادة بالدور الهام الذي قامت به الممرضات والنساء الأخريات خاصة منهن الريفيات اللاتي كن يقمن بخدمة الإعاشة.

وكم من مرة كنا نرى فتيات ممرضات وهن يحملن على ظهورهن الجرحى أثناء عمليات الجيش الفرنسي.

وبما أن المجاهدين كان أغلبهم من الشباب يعيشون في الهواء الطلق ولا يدخنون وهم الصامدون الصابرون الأشداء قليلا ما كان يصيبهم المرض، كانت هناك حالات من الزحار والزكام والالتهاب الشعبي.

وكان يوجد في كل مصلحة دفتر تسجيل فيه بانتظام مختلف الحالات والعلاج الذي بذل، كما كانت توجه إلى مسؤولي المناطق تقارير تخبرهم عن النشاط المبذول وتلفت انتباههم إلى المصاعب والمشاكل التي تواجهها المصلحة.

تلك هي الظروف التي سادت أعمال المصالح الصحية في ظروف الحرب الشاملة التي لا تعرف الشفقة ولا الرحمة، والعديد من الممرضين والممرضات رحبوا بالاستشهاد بجانب جرحاهم ومرضاهم ولم يتخلوا عنهم أبدا مهما تعاضمت الأخطار، ويجب القول بان الجيوش الفرنسية كانت لاحترم ما يرمز إليه الهلال الأحمر ولا اتفاقيات جنيف وكثيرا ما يجهزون على الجرحى (ولنذكر على سبيل المثال إجهازهم وتقتيلهم لثلاثين جريحا ومريضا مع مرضيهم في المصلحة التي كانت موجودة في باب البكوش يوم 30 ماي 1958).

ومن 1958 تكثف نشاط جيش التحرير الوطني وكثرت الاشتباكات مع العدو وحركات نقل الجرحى من مكان إلى آخر بسبب عمليات التنشيط فزاد عدد الجرحى وتضاعفت المصالح الصحية وان بقيت هياكلها على حالها فقد مات الكثير من أصحابها.

واستقبل بارتياح كبير أطباء قدموا في تلك السنة من الخارج (تونس والمغرب) فدعموا المصالح الصحية وكان منهم الشهداء بشحي فارس علي أبيت ادير وبكير قدوى والمرحوم الحكيم الجيلالي رحموني.

ولكن الظروف ما فتئت تشتد وتقسو والحرب تزداد ضراوة وانتشارا والقصف متواصل باستعمال النابالم، فبجانب الجرحى بالرصاص أو شظايا المفرقات والقنابل فقد تكاثر عدد المحروقين بالنابالم الشيء الذي يزيد مهام الأطباء والممرضين صعوبة ومشقة نظرا لانعدام وسائل الحماية من العدوى الجرثومية.

ثم أصبحت عملية التزويد بالأدوية اقل انتظاما فعز الدواء خاصة بعد الاعتقالات التي حدثت في أوساط الأطباء والممرضين وسبق الكثير منهم إلى المحتشدات وبعد أن تكرر اكتشاف الجيش الفرنسي لمخابئ الأدوية فتفاهم الوضع في هذا المجال على الرغم من الجهود التي يبذلها النظام في المدن التي أعيد تنظيمها.

كثيرا ما تحتوي المعارك في ضواحي المدن ويسقط الجرحى بعيدا عن مراكز الإسعاف التابعة لجيش التحرير الوطني ويقتضي علاجهم من مسؤولي القسم أو الناحية أن يستدعوا من المدينة أطباء مدنيين مناضلين يأتون إذا كانت المهمات عاجلة وظرفية وفي مثل هذه الظروف سقط شهيدا الحكيم بوضربة إسماعيل قرب المدينة.

ذلك هو عرض موجز حول الدور الذي لعبه النظام الصحي لم يستطع هذا النظام ان يكون (في الولاية الرابعة على الخصوص) نظاما يسير بصفة عادية وبناتظام كالمصالح الصحية الخلفية التي تحظى بها الجيوش الكلاسيكية أثناء حملاتها الصعبة.

فإذا كانت هياكله قد وجدت وأرسيت فان مشاكل من كل نوع (فقدان التأطير الكافي) النقص في الأدوية وفي الرجال والتنقلات الكثيرة التي فرضتها الحرب يجعل من سير هذه المصلحة عملا شاقا غير منتظم محفوا بالموت.

وهذا هو الشيء الذي رفع من قيمة التضحية للرجال والنساء الذين عملوا في مصلحة الصحة.

ج- التموين والاقتصاد :

في هذه المسألة سوف تعالج ثلاث محاور :

- تموين التنظيم الحربي
- تنظيم الحياة الاقتصادية في المناطق المحرومة
- نظام الونشريس من سنة 1956 إلى صيف 1958.

- التموين :

يعتبر التموين نشاطا استراتيجيا خلال حرب التحرير، لان العدو قد عمد إلى خنق جيش التحرير الوطني بمهاجمة مصادر تموينه، بإتلاف المحاصيل في الجبال وتقنين توزيع المواد الغذائية على الشعب وإنشاء المناطق المحرومة.

لقد أسندت بصفة عامة مهمة جمع المواد الغذائية وتسييرها إلى ممون ومع هذا فالمحافظ السياسي أيضا كان له نشاط أساسي في هذا الميدان.

حيث كانت المدن هي التي تمون جيش التحرير الوطني بالمواد الاستهلاكية عبر المراكز التي كانت تقوم بدور الوسيط وكانت الحبوب تدفع من السهول خاصة.

أما المؤن والملابس والأدوية بالإضافة إلى أدوات الطباعة فكانت تشتري بأموال جيش التحرير الوطني أو ترد من التبرعات.

في هذه الفترة كان التنقل يتم نحو الجبال بواسطة قوافل البغال.

قبل أن يعرف الشعب تحديد التموين الناتج عن مراقبة العدو المتزايدة لنقاط الشراء، كان الشعب يستضيف وحدات جيش التحرير الوطني فعندما تنزل كتبية بفرقة أو دشرة أو دوار، فإنها توزع أفواجا على البيوت حيث يوفر لها الشعب الغذاء والمأوى.

وبعد ذلك أصبح تحت تصرف جيش التحرير الوطني في كل الدواوير التي يمر بها مخازن للتموين يتكلف بحراستها المسبلون.

ثم تغيرت الطريقة يتغير الظروف فأصبحت المؤن والتجهيزات مخفية في مخابئ أنشئت لهذا الغرض.

وبناء المخابئ والملاجئ كان من عمل مصلحة لا يحق إهمالها إنها مصلحة الهندسة. وتتكون هذه في الغالب من المسبلين والمجاهدين الذين لهم لخبرة في هذا الميدان ومهمتهم حفر :

- مخابئ وملاجئ سرية لإخفاء المؤن

- مخابئ للأسلحة نصف الثقيلة التي لا يستعملها جيش التحرير الوطني.

أما بناء المراكز والمصحات كانت تقوم بها عناصر مخصصة من كل مصلحة إلا في وقت عمليات مدروسة وخاصة.

مصلحة الألغام :

كثيرا من أفراد هذه الفئة دفعوا حياتهم أثناء معالجة القنابل أو القذائف التي أطلقها العدو ولم تنفجر وتم العثور عليها، ولقد برهن هؤلاء المجاهدون على عبقريتهم ومهارتهم وبطولاتهم العديدة التي تستحق الذكر والتتويه، ومن هؤلاء اذكر فرحات ، رمضان واحمد الاغواطي والأخضر، وقدور سرباح وهذا الأخير كان اختصاصي في هذا الميدان.

ففي صيف 1957 بلغ مجموع ما حطمه مائة شاحنة والية بواسطة القنابل الملغمة إلى درجة أن الجيش الفرنسي بلغت به الحقارة إلى تقديم مكافأة لمن يقتل هذا البطل الذي لم يهمل تكوين عدد من الاختصاصيين الذين كونوا تلاميذ ممتازين.

ولحساب مصلحة الألغام تعود الكثير من أعمال التخريب بالسكة الحديدية عبر الولاية الرابعة ولا يمكننا ذكر هذه العمليات دون أن ننوه بالشهيد قويدر، ومبارك (الزنداري) لقد استطاع الزنداري تكوين جو من انعدام الأمن بصفة متواصلة على شبكة السكة الحديدية عبر الولاية إلى درجة أن بلغ الجنون بالاستعمار إلى وضع شقيقه في مقدمة القطار وهذه الطريقة الدنيئة استعملها الفرنسيون فيما بعد في كثير من الأحيان فيسيرون شاحنة محملة بسكان الأرياف في مقدمة قوافلهم عندما ينتهجون المسالك الجبلية.

تصليح الأسلحة :

في الغالب كان الجنود المتخصصون في الألغام هم أنفسهم مصلحو الأسلحة في نفس الوقت مثل سرباح الذي استطاع بوسائل بدائية جدا إصلاح أسلحة وإجراء تعديلات عليها.

وهكذا حول أسلحة نصف أوتوماتيكية إلى أسلحة أوتوماتيكية.

مصالح الخياطة :

لقد طور جيش التحرير الوطني أيضا مصالح الخياطة.

وكانت ملابس جيش التحرير الوطني في الفترة الأولى تأتي عن طريق نظام المدن أساس الذي يتحصل عليها عن طريق المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي أو من المدنيين العاملين في الثكنات.

وابتداء من سنة 1957 فتح جيش التحرير الوطني مراكز لخياطة الملابس العسكرية حيث كان جيش التحرير يشتري الأقمشة ويصبغها بلون الزي العسكري وظلت تعمل وتتطور طيلة سنة 1958.

بالإضافة إلى ما كان جيش التحرير يستولي عليه في العمليات العسكرية.

الحلقة :

كانت مجموعة من الحلاقين تجوب الأقسام والنواحي لأداء مهامها في وسط الجيش والشعب وبالإضافة إلى ذلك كانت هذه المجموعة تلعب دورا سياسيا وتربوي هاما في أوساط الشعب ومن هذه المجموعة نذكر الأخوين الشهيدين فرصاد ومحمد وعلال، ويمكن القول بأنه خلال هذه الفترة لم يعرف جيش التحرير الوطني مشاكل خطيرة في التمويل إلا في النواحي ذات الجبال الصعبة والمد اشرف الفقيرة والبعيدة عن السهول أو في المناطق المعنلة (المحرومة).

التنظيم في المناطق المحرومة :

أول منطقة محرمة بالولاية الرابعة كانت في صيف 1956 بالوزانة بالمنطقة الثانية، وفي سنة 1957 توسعت لتشمل جل المناطق الجبلية الصعبة عبر الولاية خاصة جبال زكار وجبال شرشال وجبال الأطلس البلدي وزرة.

إن إخلاء الشعب من هذه المناطق وجمعه بالقوة في محتشدات كان يهدف إلى قطع المصلحة بين الشعب والمجاهدين وبالتالي عزل جيش التحرير الوطني الذي كان عليه أن يتأقلم مع الوضع الجديد.

إن المهام التي قام بها سكان الدواوير فيما مضى، أصبح ينفذها جيش التحرير الوطني في شكل هيكلية أنشأها لذلك وعوض المراكز ومساكن المدنيين إنشاء جيش التحرير الوطني مراكز ونقاط اتصال بهدف الإيواء والبريد والمواصلات وكان المركز مسيرا من مسؤول

كان تحت سلطته فوج من المجاهدين مكلفين بنقل المؤن من نقاط التزود الواقعة في السهول أو حواشي المدن إلى الجبال ولقد تكفل جيش التحرير الوطني أيضا أمام غياب المدنيين في المناطق المحرمة بحراسة ومراقبة تحركات العدو.

كما تكلف جيش التحرير الوطني أيضا بجني الثمار وتخزينها لفصل الشتاء وفي هذا الإطار يجدر بناء ذكر تجربة تسيير منطقة محررة : تجربة الونشريس من سنة 1956 إلى نهاية ماي 1958 طوال هذه المدة لم يستطع الجيش الفرنسي ان يتوغل في جزء كبير من جبال الونشريس وبالضبط في الناحية الثالثة رغم محاولاته العديدة.

نتجت هذه الوضعية بسبب النشاطات العديدة لجيش التحرير الوطني نذكر منها :

العمليات التي كانت لها دلالات كبيرة :

- الحصار الذي فرضه على سوق الحد في افريل 1957 كوماندو جمال والذي دام يوما كاملا.

- كمين تمذرارة على محور الطريق الوطني شلف برج بونعامة (موليار سابقا) والذي شاركت فيه ثلاث كتائب من جيش التحرير الوطني تحت قيادة النقيب بونعامة الجيلالي (سي محمد) الذي أصبح فيما بعد قائدا للولاية الرابعة.

وذلك في ديسمبر 1957 حيث ان الكمين كان يستهدف القافلة النصف الأسبوعية والمتكونة من السيارات العسكرية والمدنية التي تمون القرية المنجمية (بوقايد) وقرية (موليار) وفي هذا الكمين أسقطت طائرة استكشافية، وكان من عبقرية سي محمد وليعظم من قوة جيش التحرير ويزيد من إعداد جنده أمام العدو انه ترك مناشير في موقع الكمين تفيد أن (أن فيلق العمليات للونشريس) هو الذي قام بالعملية وهو فيلق وهمي لا وجود له.

- كمين بني بوستور قرب سد وادي الفضة، نصبته الكتيبة الكريمة وأسفر عن 28 أسيرا، كان يوم 16 افريل 1958 وأطلق سراح 2 أسيرين من قبل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1960.

- نشاطات مكثفة، أيضا لمصلحة الألغام : زرع الألغام في كل محاور الطريق والمسالك الجبلية وحول المراكز الفرنسية مما جعل تحركات العدو صعبة ومحفوفة بالمخاطر.

إذا كان الجيش الفرنسي قد أحجم عن الزج بوحداته في ميدان القتال بجبال الونشريس قد أطلق العنان لمختلف أسلحته الجوية.

فكانت الدواوير تقصف دوريا، وخلال ربيع سنة 1958 تكالب طيران العدو فدمر دون تمييز دشرة فرشة بقتابله المختلفة الأحجام والأنواع وانتهج سياسة الأرض المحروقة.

وكانت نتائج هذه الغارات خسائر بشرية طفيفة بالنسبة للدمار الشامل الذي أصاب المساكن لان جيش التحرير الوطني كان قد درب السكان المدنيين على الاختفاء في ملاجئ بنيت لمثل هذه الحالات.

حيث كانت المرتفعات المحيطة بالدوار مجهزة بخنادق وتحصينات.

لقد وضعت ترتيبات لإعلان حالة الطوارئ بواسطة حراس يتناقلون الإنذار بالمراحل من قمة إلى أخرى الأمر الذي كان يسمح للمدنيين وجيش التحرير بالاختفاء قبل وصول الطائرات.

خلال هذه المدة استطاع جيش التحرير الوطني أن يطور العديد من المصالح الملحقة مثل : مراكز الخياطة ومستشفى يسيره طبيب ومخازن التموين والمدارس ومطعما مفتوحا دوما وهذا في نقطة تجمع وممر باب البكوش المعروف لدى كل المجاهدين.

لقد أصبحت هذه الناحية إقليميا آمنة لا يستطيع الجيش الفرنسي أن يفاجئ فيه السكان المدنيين وجيش التحرير الوطني.

-في شهر ماي 1958 عسكر الجيش الفرنسي فيما بين الولاية الرابعة والولاية الخامسة على محور الطريق عين موسى سوق الأحد وشرع في إنزال نجدات بواسطة المظلات مستعملا 8 طائرات من نوع (نور الأطلس) وكانت قيادة العملية مسندة إلى الجنرال جيل ودامت الاستعدادات أياما وكان تقدم العدو بطيئا وحذرا وكانت قيادة العملية مسندة إلى الجنرال جيل ودامت الاستعدادات أياما وكان تقدم العدو بطيئا وحذرا وكانت قوة جيش التحرير الوطني تتكون من الكتيبة الكريمة وفصائل من الأقسام.

اشتبك الجمعان يومي 30 و31 ماي في معركة حامية حيث ألحقت خسائر كبيرة بالعدو وحسب اعترافه بما ورد في سجلات الحالة المدنية بقرية موليار والتي نقل منها مايلي (38 قتيلا) منهم :

3- ضباط احدهما برتبة مقدم واثنان برتبة رائد وهم -ياسوني جان بيار المولود يوم 1920/5/18 ببنزرت رائد.

- باندروبيير المولود يوم 1910/1/13 بناحية فوج رائد وترك جيش التحرير الوطني 45 شهيدا في المعركة منهم قائد الكتيبة الكريمة (سي عمر).

د- المالية :

إن المصادر المالية لجيش التحرير الوطني كانت أساسا من مساهمة المواطنين خلال سنتي 1957-1958، لم يعرف جيش وجبهة التحرير الوطني في الواقع صعوبات في الجانب المالي بل أكثر من ذلك- إذ حتى إضراب 1957 وما نتج عنه من تصدع في نظام

المدن يمكن القول حتى ذلك الوقت كان يحظى بالسير المالي وبعد الإضراب بقي جيش التحرير الوطني يتحصل على الوسائل المالية الملبية لحاجته.

ان واجب تمويل الجهود الحربية كان قد شعر به كل الجزائريين وكثير منهم اقتصرت مساهمتهم في الكفاح التحرري على هذا العمل فقط.

مصادر التمويل هي :

1- الاشتراكات وكان الحد الأدنى فيها 200 فرنك قديم وكان الاشتراك واجبا على كل جزائري عموما.

2- ضريبة التبرعات التي فرضها جيش التحرير الوطني على الأغنياء الجزائريين.

3- غرامات فرضت على الذين لم يمثلوا للأوامر أو الذين انحرفوا عن أصول الأخلاق والمبادئ الأساسية لجبهة التحرير الوطني.

4- التبرعات بالمواد في شكل لباس لوحدات جيش التحرير الوطني ومواد غذائية وأدوية إلى غير ذلك.

خلال مدة طويلة كانت المدن تدفع القسط الأوفر من وسائل التمويل وأثناء هذه المدة لم يصرف جيش التحرير كل مداخله في التموين لان الشعب كان يتكلف في كثير من الأحيان بتوفير الغذاء لجيش التحرير، وكانت السهول تدفع للجبال المواد الغذائية والحبوب في شكل تبرعات، ومن جهة أخرى فان جيش التحرير استطاع أن يتمون دون صعوبات كبيرة لان مصادر التموين كانت عديدة والعدو يعمم بعد انتهاج سياسة الأرض المحروقة ومضاعفة مراكز التجمع للشعب الريفي.

- جهاز القمع لم يبلغ درجة من المهارة والتشدد مثل تقسيط المواد الغذائية على السكان التي عرفناها منه فيما بعد.

إن مداخل جبهة التحرير الوطني استعملت بصفة خاصة في مصاريف على وجه التالي :

- التموين، مراد غذائية، لباس، أدوات للمصالح الملحقة.

- مساعدات للعائلات التي سلط عليها القمع على مستوى القاعدة، كان المحافظ السياسي، يمسك حسابات دقيقة وهو الذي يجمع الأموال الواردة من المدن أو مسؤول المالية على مستوى الدوار.

إن التقرير المالي يكون جزءا من المعلومات التي يجب على المحافظ السياسي أن يقدمها إجباريا في كل شهر إلى السلطات العليا.

الرقابة :

كان المحافظ السياسي مطالبا بتقديم المعلومات عن الحالة النظامية لإقليمه لمجلس القسم. وتقديم هذه المعلومات شهريا في شكل تقارير تتضمن العناصر الآتية :

- التقرير المالي :الإرادات والنفقات.
- التقرير الأدبي :يتضمن تحليل الوضع المعنوي للشعب.
- تقرير عن تسلط العدو على أفراد الشعب.
- يتوجب على القسم بدوره أن يبلغ علاوة عن التقارير المذكورة أعلاه :
- تقريرا إحصائيا.
- تقريرا عسكريا يعدد النشاطات العسكرية بما فيها التخريب والفساء...الخ.
- تقريرا مفصلا عن خسائر جيش التحرير مع بيان الأسباب والظروف.
- تقدم الناحية التقارير الواردة من الأقسام إلى المنطقة وهذه تقدمها إلى الولاية.
- ولم تكن هذه التقارير المصدر الوحيد لاستقاء المعلومات فكل حادث كان يتم تبليغه عن طريق السلم التصاعدي، انه سيل من المعلومات تتدفق بدون انقطاع من القاعدة إلى القمة.
- إن إرسال التقارير كان من التقاليد الراسخة خلال كل مراحل الثورة وان القيادة في حد ذاتها كانت حريصة على التنبيه بالنظام بمجرد تأخر وصول التقارير إلى مركز القيادة.

وتسمح دراسة التقارير بـ :

- الاطلاع على الوضع العام.
- دراسة مجمل المشاكل المطروحة.
- الحكم على قيمة القرارات المطروحة.
- الحكم على قيمة القرارات المتخذة.
- تقييم الفضائل والنقائص للرجال وكذلك لعمالهم.
- التفكير أثناء إعداد القرارات الجديدة.
- اتخاذ القرارات التي تتطلبها الوضعية.
- إعادة توجيه وتصحيح النشاط النظامي.
- حصر المشاكل وإيجاد الحلول المناسبة لها.

إذا كان تحليل التقارير يسمح برقابة ثمينة فبواسطة الرقابة الميدانية التي كان يجربها المسؤولون في جولاتهم عبر تراب الولاية كان يمكن الاطلاع على حقائق التنظيم في الدوار الذي يقدر الحالة النظامية الحقيقية والقسم والناحية والمنطقة وأصبحت الرقابة من التقاليد الراسخة في الولاية 4.

وأعضاء أي مجلس مرتبطون دوما بالرقابة في القسم أو الناحية أو المنطقة وغالبا ما كانت التقارير الشهرية لما تقدم تناقشها مجلس الأقسام أو النواحي أو المناطق، وقد رسخت روح الديمقراطية المسؤولة والصراحة فالاجتماعات على كل المستويات حيث كانت فرصة للمشاركين لإبداء وجهات نظرهم بكل حرية.

وكثيرا ما كانت الاجتماعات على مستوى المنطقة يرأسها عضو أو عضوان من مجلس الولاية.

وكانت الرقابة تسمح بـ :

- فحص مدى تطبيق وتنفيذ التعليمات الصادرة.
- التعرف على القوى الحقيقية للتنظيم وفي نفس الوقت الاطلاع على عيوبه وضعفه ونقائصه.
- حث وتحفيز المساعدين...
- كما أن الرقابة تتيح للمسؤول أن يكون إلى جانب مساعديه في مواجهة الصعوبات وتقاسم المشاكل.
- ولم تكن أبدا بين إطارات الولاية الرابعة أية حواجز تفرضها المسؤولية، بل كان المسؤولون القدوة الحسنة لجنودهم وبالتواضع والتسامح والود، إذا كان كل من سي أحمد وسي لخضر، وسي محمد وسي صالح يصر على اخذ دوره في الحراسة كبقية المجاهدين.
- ولا يتردد أي منهم في التنازل عن بذلته العسكرية لمن كان في حاجة إليها من المجاهدين.
- إن المجاهدين في جميع المستويات لم يفكروا في وضع العلامات المميزة للرتب، فكانوا يقاسمون الصعوبات ويشاركون في المعارك مع بقية المجاهدين، وبذلك كانوا القدوة الحسنة والمثل الأعلى لجنودهم الذين يعيشون بينهم في كل الظروف ولم يرضوا بغير ذلك بديلا، ولم يستعملوا حراسا خاصين بهم في مركز القيادة أو حراسة كبيرة خلال تنقلاتهم.

هـ الاتصال الأخبار :

يشكل الاتصال والأخبار عنصرين أساسيين في أي تنظيم ثوري، ولذا اقر مؤتمر الصومام عضوا خاصا في المجلس مكلفا بهذه المهمة.

الأخبار :

للأخبار ثلاثة وظائف أساسية :

- حراسة النظام لكشف الخونة والمناوئين، وقد كان سي أمحمد يردد باستمرار مقولة، أدنى ثقة توفر أقصى امن.
- التقاط أخبار العدو بمختلف الوسائل ومن جميع المصادر من المناضلين، المجندين الجزائريين في جيش العدو، الموظفين الخ...
- تشخيص الأهداف لوححدات جيش التحرير الوطني ولم تكن هذه المهمة وقفا على مسؤولي الأخبار والاتصال بل كانت اليقظة واستقاء الأخبار الشغل الشاغل على جميع المستويات وكثيرا ما كان الاتصال والإخبار يقوم بعملية تدمير وتمييع وإغراق مؤسسة العدو بواسطة الجزائريين المجندين في صفوفه، وذلك مثل الحصول على الذخيرة، وتنظيم هجمات.
- إنجاح عمليات قرار أو التقاء المجندين الجزائريين بجيش التحرير وبفضل المعلومات المقدمة من طرف الأخبار والاتصال أنجز جيش التحرير نشاطات عديدة رائعة.
- وكم من عملية للعدو باءت بالفشل الذريع ولم تحقق الأهداف المرجوة منها بفضل إشعار وحدات جيش التحرير في الوقت المناسب بتحركات وحدات العدو بواسطة المناضلين.
- يجتمع مسؤول الأخبار والاتصال مع مساعديه في النواحي دوريا لمعالجة مختلف القضايا المتعلقة بمهامهم التي تتطلب التثبيت والسرية المطلقة، وهي مناسبة أيضا لتوجيههم نحو أهداف جديدة تتماشى وتطور الحرب.

الاتصال :

- كانت الاتصالات خلال هذه المرحلة تسند لمناضلين، ومسؤول الأخبار هو الذي كان يختار الدليل (الاتصال) من بين المسبلين الذي عليه أن يرافق أفراد ووحدات جيش التحرير في تنقلاتهم، كما يؤمن نقل البريد.
- والمراسلات الموجهة إلى مركز القيادة تتم بواسطة جنوده من جيش التحرير مكلفين بهذه المهمة.
- أما المناطق المحرمة م فقد استعمل جيش التحرير تنظيما مختلفا للاتصالات.
- وتقوم مراكز الاتصال الثابتة المبنوثة في مسالك جيش التحرير السرية بوظيفة الربط، وتشكل في نفس الوقت محطات توقف أعوان الاتصال وإيواء الأفواج المكلفة بنقل المؤن.

كان المسؤولون شديدي الحرص على عدم انقطاع الاتصال بين هياكل التنظيم حتى إذا انقطع خلال عمليات الحصار المؤقتة التي يفرضها العدو فانه ما يلب ثان يربط من جديد وبسرعة.

وبمكن الجزم بان الاتصال كان يتم دون صعوبات كبيرة، إن المراسلات الهامة والتي تكسي طابعا سريريا تتم بالشفرة التي تتغير بانتظام.

وكان في متناول الولاية فيما بعد مصلحة للاتصال اللاسلكي.

وان استعمال أجهزة اللاسلكي في الولاية الرابعة كسلاح جديد قد وقع في اواخر 1957، وقد سمح وصول الفوج الأول المكون من بلال وعلال بالاتصال مع لجنة التنسيق والتنفيذ من جبال الوسط الجزائري.

وجهاز الراديو من طراز (ANGRC.9) وهي محطة يمكن تفكيكها وحملها من طرف ثلاثة أشخاص.

ثم وصل فوجان جديدان مكونان من تونسي، اوفتال من جهة وبارحو خذير من جهة أخرى في نهاية ديسمبر 1957 ومجموع الأفواج الثلاثة بقيت بالونشريس وفي محطة واحدة حتى نهاية فبراير 1958 ثم انتقلوا إلى المنطقة الثانية حيث استقروا بها.

ابتداء من شهر ماي 1958 كانت للولاية محطتان واحدة في المنطقة الأولى والثانية في المنطقة الرابعة عند تكوينها، وفيما بعد رجع فوج المنطقة الرابعة إلى المنطقة الثانية وبقي فيها إلى نهاية 1958.

وكانت هذه المحطات في أماكن سرية تحت حماية أفواج من المجاهدين ومن البديهي أن العدو كان يبحث بحثا دقيقا على هذه المحطات إدراكا منه أن مركز القيادة يكون عادة بقرب هذه المحطات.

هذا ما جعلنا نستعمل هذه الأجهزة ليلا فقط وذلك ابتداء من أواخر 1958.

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن هذا النمط في الاتصال محفوف بالإخطار إذ كثيرا ما كان سببا رئيسيا في عدة مناجات لان أجهزة العدو للتنصت تلتقط الشفرة المستعملة وتتمكن من حلها، وتحديد موقعها.

هذا النوع من الاتصال استمر العمل في طوال الفترة المذكورة وبعدها بزمن طويل.

2- الميدان العسكري:

أ- تنظيم وحدات الجيش:

تتألف وحدات جيش التحرير الوطني من:

- كوماندو في كل منطقة
- كتيبة أو كتيبتين في كل ناحية
- فصيلة أو أكثر في القسم
- مسبلين
- فدائيين

وقد تم تشكيل فيلق أو كوماندو الولاية لفترة قصيرة في بداية سنة 1957 حيث كان ينتقل عبر تراب الولاية واستمر إلى صيف 1957.

وبعد ذلك كانت الكتائب تتجمع في وحدة كبيرة لتكون فيلقا في حالات خاصة من أجل تحقيق هدف محدد ثم تفصل لان الفيلق يشكل وحدة كبيرة تتعرض لاكتشاف العجز بسهولة في تحركاتها.

كانت الوحدات العاملة في الولاية الرابعة خلال سنتي 1958/57 كالتالي:

المنطقة الأولى:

- كوماندو غلي خوجة على مستوى المنطقة.
- الكتيبة العمرية الناحية 1
- الكتيبة الرحمانية الناحية 2
- الكتيبة العثمانية الناحية 3
- الكتيبة السليمانية الناحية 4

المنطقة الثانية:

كوماندو سي محمد على مستوى المنطقة

- الكتيبة العمرية الناحية 2
- الكتيبة اليوسفية الناحية 3
- الكتيبة الحمدانية الناحية 3
- الكتيبة الزبيرية الناحية 4
- الكتيبة العز الدينية الناحية 4

- أفواج من الفدائيين الناحية 1 الساحل

المنطقة الثالثة:

كوماندو سي جمال على مستوى المنطقة

- الكتيبة الحسينية الناحية 1

- الكتيبة الحمديّة الناحية 2

- الكتيبة القودرية الناحية 3

- الكتيبة الكريمة الناحية 3

- الكتيبة الحسينية الناحية 4

المنطقة الرابعة:

- الكتيبة الحكيمية

- الناحية 1

- الكتيبة الجلولية الناحية 2

- الكتيبة الزعبانية الناحية 3

وبذلك يكون مجمع الكتائب 26 كتيبة كل منها تتكون من 3 فصائل تقسك ما بين 105-110 جنديا وضابطا.

ب- التسليح والتموين والتكوين والتدريب:

إن سلاح هذه الوحدات كان في البداية بنادق صيد في أغلبيته، ثم عوض تدريجيا بأسلحة حربية حديثة غنمت من العدو في الكمائن والمعارك وقسم قليل من السلاح وخاصة الجماعي منه جاء عن طريق ما جلبته الدوريات (وهي وحدات تكونت من مجندين التحقوا بجيش التحرير الوطني ووجهوا إلى القاعدتين بالحدود التونسية والمغربية لجلب السلاح).

وفي هذا الموضوع يمكن تقدير قطع الأسلحة التي وصلت إلى الولاية عبر هذه القناة ما بين 900 إلى 1000 قطعة فقط.

وبأمر من القيادة الوطنية أوقفت الولاية إرسال الدوريات إلى الحدود لأنها أصبحت عرضة للإبادة من طرف العدو في كثير من الأحيان في مرحلة الذهاب وخاصة أنها كانت توجه إلى الحدود بدون سلاح، مما يجعلها لقمة صائغة للعدو ولا ينجو على مدى طول الرحلة إلا القليل.

وبعد انجاز السود المكهربة والملغمة أصبحت هذه الدوريات عرضة لترصد العدو وضربات.

ودون مبالغة فان آلاف الشباب من المجاهدين من اجل الحصول على السلاح استشهدوا على حول الطريق ما بين الولاية الرابعة وتونس ذهابا وإيابا.

وبأمر من القيادة الوطنية في سنة 1958 إيفاد الدوريات إلى الخارج.

ونذكر أن خلال هذه الفترة انشأت بالحدود الشرقية لجنة ميدانية عسكرية وأخرى بالحدود الغربية تتكلف بتزويد الولايات بالسلاح.

ومن جهة أخرى فان الأسلحة النصف الثقيلة الواردة من الحدود قد خزنت في مخابئ وذلك مع نهاية 1958 بسبب نفاذ ذخيرتها مما استوجب توزيع الذخيرة القليلة الباقية على المجاهدين لاستعمالها في الأسلحة الفردية فمثلا استعمال أصحاب بنادق الموزار من ذخيرة (م ج) الألمانية وأصحاب بنادق العشارية من ذخيرة البران.

ونفذت نهائيا ذخيرة الأسلحة الفردية المستوردة في بداية 1959 وأصبحت غير مستعملة هي الأخرى، وبذلك كان الأمل الوحيد والمصدر الأساسي لتسليح وحدات جيش التحرير في الولاية الرابعة هو الغنم من العدو وافتكاك السلاح من الطريق وهذا ما كان شعارنا ولا يسعنا في هذا الموقف إلا أن نذكر مقولة سي أحمد للشباب الجزائري المتحمس بالالتحاق بجيش التحرير الوطني.. إن سلاحنا يوجد في الطريق لدى جنود العدو وكثيرا ما كان يردده أيضا على من يطلب سلاحا (إن مستودع سلاحكم موجود عند العذر).

وما أروع منظر المجاهدين وهم يتسابقون في الهجومات والكمائن لافتكراك أسلحتهم ولباسهم من أفراد العدو.

أما التدريبات فكانت الكتيبة تمارس يوميا في تشكيلة واحدة أو مقسمة إلى أفواج حيث يتلقى الجنود تدريبات على:

- استعمال السلاح

- مختلف تشكيلات القتال وتطورها

- تنظيم الكمائن

ويقضي المجاهدون أوقات فراغهم في التكوين العام عندما تتواجد الكتيبة بالمركز على قواعد وأسس مدروسة.

ويتم التكوين على يد مدرب مختص أو مسؤولي الكتيبة الذين تتوفر فيهم المقاييس التالية:

- الخبرة الحربية

- الشجاعة

- الشخصية القوية المؤثرة

إن ما تتدرب عليه الكتائب كان من خبرة وتجارب مسؤولي الولاية وعلى سبيل المثال ظهرت أول نشرة بعنوان (من الحرب إلى الثورة) للقائد العسكري الشعبي سي الأخضر فكانت مرجع للقواعد التكتيكية التي تطبقها الكتائب وفي نفس الوقت كتابا للتربية السياسية العسكرية.

وقد أنجز سي أحمد دليل الفدائي عام 1958 الذي أكمله وأثراه سي محمد عام 1960.

وبذلك تعلم المجاهدون دروسا قيمة.

كان كل جندي قادر على تقديم الإسعافات الأولية للجرحى وبإمكانه أيضا استخلاف رئيسه حالة استشهاده.

كانت كل كتيبة يرافقها مرشد يشدز الهمم ويرفع المعنويات بدروسه السياسية والدينية، ونقف هنا لنذكر بأن كل المجاهدين كانوا مداومين على تأدية فريضة الصلاة، متحليين بالأخلاق والروح الإسلامية العالية.

وكانت فرق كوماندو المناطق التي هي من وحي القائد المحنك علي خوجة تتميز عن الكتائب الأخرى زيادة على قوتها الضاربة لكونها مدرسة الإطارات فكل وحدة منها يرافقها محافظ سياسي يهتم بمحو الأمية والتكوين السياسي للمجاهدين وكانت وحدات الكوماندو تضم نسبة كبيرة من الشباب المثقف الذي ساهم في تعليم إخوانه.

ومن الوحدات تأخذ المناطق إطاراتها المختلفة لتسيير الكتائب ومسؤولي النواحي والأقسام ويعوض هؤلاء بانتقاء أحسن وأبرز العناصر من كتائب النواحي ليتكفونوا بدورهم.

وكان المجاهدون يتنافسون ويتسابقون ليكون لهم شرف الانضمام إلى الكوماندو.

وكان تموين الكتائب من اختصاص المحافظين، تحت إشراف ومراقبة المسؤولين السياسيين في الأقسام والنواحي.

وحسب قوة العدو عددا وعدة تتحدد حركة الكتائب وسرعتها أثناء المعركة وعند الانسحاب.

واعتبارا للموقع الجغرافي للولاية الرابعة في وسط الوطن وبقرب العاصمة حيث تركزت ثروات المعمرين.

فان الولاية الرابعة قد وقع عليها عبئ ثقيل تمثل في تكثيف القوات العسكرية الفرنسية بها.

ج- إستراتيجية وطاكتيك جيش التحرير الوطني:

وإمام هذه القوى الفرنسية التي كان لها العدد والعدة والضباط المحنكون في الفنون الحربية الطامحون إلى محو فضيحة (ديان بيان فو) وعار الهزيمة بدون قتال التي عرفوها في الحرب العالمية الثانية، فكان جيش التحرير الوطني يملك قوة الإيمان تحفوها شجاعة المجاهدين والمسبلين والفدائيين والمناضلين كما كان يملك الحكمة في فرض الأسلوب المناسب للحرب: ألا وهو أسلوب حرب العصابات.

فالتباين الكبير بين القوى العسكرية المتواجدة كان واضحا وضوح النهار.

وكثيرا ما كانت الكتيبة التي تتكون من 110 رجلا تواجه عددا أضخم بكثير يتراوح بين 2000 و4000 جنديا.

أضف إلى ذلك أن العدو كان يتمكن من الحصول على النجديات العسكرية بسرعة وفي أغلب الأحيان بواسطة طائرات الهليكوبتر وانه كان ينفرد بالسلاح الجوي الذي كان لا يكتفي بدور التغطية بل كان طرفا مشاركا في المعركة.

وعليه فمهما كانت الخسائر التي يتكبدها العدو مرتفعة فإن استشهاد عشرة مجاهدين في المعركة كان يعتبر في أعيننا خسارة أكبر من منتئين من قتلى العدو الذي كان لا ينقصه العدد ولا العدة.

- هذا وكانت إستراتيجية جيش التحرير الوطني تقتضي:
- التواجد في كل مكان لإجبار العدو على تشتيت قواته.
- فرض حالة عدم الأمن دوما بمختلف الوسائل: هجومات، ضرب المراكز المعزولة، تحطيم المنشآت الاقتصادية...إلى غير ذلك.
- السعي إلى غنم أكبر كمية من السلاح لتعزيز القدرة الهجومية بتسليح المجاهدين بتسليح المجاهدين الذين كانوا لا يملكون السلاح.
- اختيار الأهداف التي لا تكلف خسائر كبيرة حفاظا على قدرة جيش التحرير الوطني وشعورا بان المعركة مع العدو طويلة وتتطلب توفير أقصى ما يمكن من الجهد.
- وفي إطار هذه الإستراتيجية فقد تعين على جيش التحرير الوطني اختيار انسب الطاكتيكات وكل ما يساعده في العملية على الانفراد بزمام المبادرة من اختيار الزمان والمكان والتقدير السليم للقوى المتواجدة.

ولهذا كان يتعين على وحدات جيش التحرير الوطني ان تكون خفيفة سريعة التحرك.

وعملا بهذه القواعد انتهج جيش التحرير الوطني سنتي 1956 و 1957 أسلوبا ذكيا في حربه مع العدو.

فقد كان يعمل على مفاجئة العدو بتوجيه ضربة خاطفة قاضية بواسطة الكمائن التي كانت تدرس بدقة وتخضع لضوابط صارمة تتضمن:

- عنصر المباغثة

- كثافة النيران

- سرعة التنفيذ والانسحاب

وبهذا توصل جيش التحرير إلى تدمير قوافل كبيرة للعدو وغنم أسلحة دون خسائر.

وكانت وحدات جيش التحرير تتفادى الاشتباك مع العدو ما أمكن وإذا ما اضطرت إلى ذلك تستغل تحرك وتجمع قوات العدو لفك الحصار والانسحاب من النقاط الساخنة.

وإذا كانت المبادرة بيد جيش التحرير فهو لا يقحم نفسه في أية معركة ما لم يرى أن هدف العدو في متناوله ولصالحه.

ومع بداية خريف 1957 بدأت تملأ الميدان ملامح الإعجاب المتولد عن انتصارات جيش التحرير الوطني العديدة والتي كان لسوء تصرف العدو نصيب في تحقيقها.

فأصبحت وحدات جيش التحرير الوطني كثيرا ما تبحث عن العدو والاشتباك معه في الوقت الذي كان عليها أن تتفادى ذلك وتنسحب الأمر الذي دفع بالعدو إلى مضاعفة عمليات حرق الغابات وشق الطرق والمسالك على امتداد الآلاف الكيلومترات في الأرياف.

وأحيانا تشترك كتبتان أو ثلاث في معركة مانحة بذلك فرصة للعدو لتعزيز قواته بمختلف أنواع الأسلحة في أول مواجهة.

وبقي الأمر كذلك حتى صيف سنة 1958 حيث تعين على قيادة الولاية توجيه تعليمات تتضمن الرجوع إلى الخطة السابقة.

وهذا الإعجاب الذي كان يبهره عدد الكتائب التي أصبح يتوفر عليها جيش التحرير وكثرة الانتصارات 9 المحققة، وكثافة نشاطات المسبلين في تدمير منشآت العدو (طرق- مزارع- الخ...) يفسر كذلك وإلى حد بعيد ابتعاد نظام جبهة وجيش التحرير عن ضواحي المدن والقرى.

فلم تعد نشاطات المسبلين كثيفة مسلسلة كما شهدتها سنة 1956 إلى الفصل الأول من سنة 1957.

حقيقة أن النظام في المدن قد أصيب بنوع من الشلل بفعل الضربات القاسية التي تلقاها خلال الإضراب الشهير سنة 1957 استغل العدو الوضع فوظف العديد من عملائه لتطويق ومضايقة المراكز العمرانية.

ويجب الاعتراف بان جيش التحرير الوطني ولو لم يهمل تماما السهول وضواحي المدن، فقد فضل تعزيز قواه في الجبال ولكنه لو عمل على تكثيف عدد الأفواج الصغيرة في ضواحي المدن لتعددت وكثرت العمليات حولها ولنتج عن ذلك التشتيت لقوى العدو والتخفيف من ضغطه على الجبال.

وهذا الأسلوب في العمل هو الذي ساد اثر الهجومات الكبرى التي شنها العدو ابتداء من 1959 تحت نظام (دوغول) ورغم الفارق الكبير في العدد والعدة والذي كان لصالح العدو والإمكانيات الكبيرة التي أتاحت له في عهد ديغول فان جيش التحرير لم يفقد زمام المبادرة خلال سنة 1958 واليكم لوحة إحصاء العمل العسكري بولايتنا خلال الفترة من 20 اوت إلى ديسمبر 1958.

العمليات الفدائية بالولاية الرابعة

لفترة 20 أوت 1956 إلى 31 ديسمبر 1958

الغنائم	انتقامات		الشهداء	خسائر بشرية		عدد العمليات	السنوات
	مسجونين	شهداء		العملاء	العدو		
16 أسلحة		92	8	117	212	312	1956
2 أسلحة		138	15	128	279	363	1957
		—	138	7	38	65	1958
37 أسلحة	10	368	30	283	655	855	المجموع

العمليات العسكرية بالولاية الرابعة

لفترة 20 أوت 1956 إلى 31 ديسمبر 1958

السنوات	المعارك	الاشتباكات	الكمائن	الهجمات	خسائر العدو مادية	الشهداء	غنائم	انتقامات العدو
1956	41	35	59	28	76	212	489	44
1957	106	163	108	56	213	1569	1256	587
1958	149	135	81	57	182	2884	1746	593
المجموع	296	333	248	141	417	4665	3441	1224

عمليات التخريب بالولاية الرابعة
لفترة 20 أوت 1956 إلى 31 ديسمبر 1958

السنوات	عدد العمليات	خسائر العدو البشرية	خسائر اقتصادية			أعمدة الهاتف والكهرباء	انتقامات العدو	
			مزارع	هكتارات بالتقريب	عتاد فلاحي		مسجونين	شهداء مدنيين
1956	270	31	113	10000	53	2000	10	53
1957	298	52	78	30000	550	3000	9	72
1958	151	50	32	5000	24	1500	23	51
المجموع	719	115	223	45000	627	6500	42	176

إحصاء الطائرات المحطمة

السنة	المنطقة الأولى	المنطقة الثانية	المنطقة الثالثة	المنطقة الرابعة
1956	4 طائرات 1 هليكوبتر			
1957	10 طائرات 1 هليكوبتر	12 طائرة 6 هليكوبتر	2 طائرتين	2 طائرات
1958	13 طائرة 5 هليكوبتر	6 طائرات 2 هليكوبتر	5 طائرات	3 طائرات
المجموع	27 طائرة 7 هليكوبتر	18 طائرة 8 هليكوبتر	7 طائرات	5 طائرات
المجموع العام	57 طائرة 15 هليكوبتر			

الإحصائيات العامة للعمليات والغنائم والخسائر البشرية بالولاية الرابعة

عدد العمليات	الغنائم	خسائر بشرية للعدو	الشهداء ج ت و	انتقامات المدنيين من
2592	3478	عدة آلاف	4695	1768

أيها الإخوة:

تجدون تفصيل هذه العمليات العسكرية في الأجزاء الثلاثة من هذا التقرير ونظرا لحجمها تعذرت تلاوتها على مسامعكم.

هذا وان قوات الاحتلال ومسالحيها المختصة راحت ترمي بكل ثقلها لتجميع الشعب وقنبلة المداسر، وحرقت الغابات والتكثيف من عمليات القمع.

د- الوجود العسكري للعدو:

04 ألوية

15 فرقة

يضاف إليها أفواج الدفاع الإقليمي والجندرمة والتجمعات المتنقلة للشرطة الريفية والحركة، والمعمرين والاروبيين الذين شكل اغلبهم جماعة مسلحة مثل التي تنتمي إلى (لقيارد) و(ترتبز) وغيرهم من المتطرفين العنصريين.

وكان مجال نشاط الولاية الرابعة تغطية قوة كبيرة للجيش الفرنسي تتمركز قيادتها بالعاصمة وموزعة كالتالي:

1- منطقة شمال العاصمة:

نظرا لأهميتها كان يتولى قيادتها جنرال مقيم بالجزائر فتشمل سلطته العاصمة والساحل وجنرال مساعد مقيم بالبلدية وتمتد سلطته إلى متيجة.

أ- الاحتياطات العامة:

- اللواء 7 الميكانيكي السريع: قطاعات البلدية- عين طاية الدار البيضاء.

- اللواء 10 للمضليين: قطاع الساحل والعاصمة تحت قيادة ماسي.

- فرق مستقرة في اسطاولي- زرادلة- القليعة- وادي العلايق- عين طاية- الجزائر العاصمة.

ب- ومدعمة أيضا بفرق متنوعة فرقة الزواف التاسعة، الهندسة العسكرية، النقل، الإشارة، الرماة، المدفعية.

2- منطقة غرب الجزائر:

وتشمل 6 قطاعات: الشلف، شرشال، تنس، ثنية الأحد، مليانة، عين الدفلة.

أ- اللواء 9 مشاة.

ب- مدعم بفرق المدفعية، والرماة، والنق وغيرها.

3- منطقة جنوب الجزائر:

تحت قيادة 3 جنرالات وهم (روا ودبيويس، وارفوايو) وتشمل 4 قطاعات: المدية، سور الغزلان، قصر البخاري، عين وسارة.

أ- اللواء العشرون للمشاة.

ب- مدعما بفرق الرماة والمدفعية والقناصة الإفريقيين وغيرها.

4- منطقة شرق الجزائر (القبائل الكبرى):

ويهمنا قطاع الأخرزية وقطاع بيرغبالو، الفرقة الأولى للمشاة المحمولة والفرقة المدفعية 47.

لقد طبق العدو على الولاية الرابعة خطة تطويق شاملة وشدد في تركيز قواته (انظر لوحة التمرکز لقوة العدو).

وابتداء من صيف 1957 شرع لواء الهندسة في تنفيذ برنامج واسع لفتح المسالك بالجبال وتابع العملية طيلة سنة 1958.

وكان الهدف هو الدخول إلى كل السلاسل الجبلية ليتمكن العدو من إرسال العساكر أثناء عمليات التنشيط وتموين المراكز التي تشييدها.

وبصفة عامة أقيم مركز رئيسي أو معسكر لبطاريات المدفعية لتراقب وتحمس مجموعة المراكز الثانوية، أقيمت على امتداد هذه الطرق الجبلية.

المراكز العسكرية بالولاية الرابعة

لفترة 20 أوت 1956 إلى 31 ديسمبر 1958

المجموع	مراكز التجمع	مكتب لاصاص	الثكنات	السجون	المعتقلات	مراكز الحراسة	مراكز التعذيب
1656	152	124	174	21	14	754	415

وقد بدأت عملية التطويق ببناء المراكز في المنطقة الأولى على اثر الاشتباكات التي وقعت بين وحداتنا وعساكر جنرال ماسو.

ونذكر على سبيل المثال أن بلدية أولاد موسى (سان بيار - سان بول سابقا) حيث أقيم 57 مركزا للسنتين دشرة.

وفي ناحية شرشال التي كانت تابعة للقطاع العسكري تحت قيادة الكولونيل (دوشتال) الضابط القديم المتخصص في الشؤون الأهلية بالمغرب، أقيم 45 مركزا دون ان نذكر الحركة ومراكز التجمع التي أنشأها الجيش الفرنسي بالقوة والأسلاك الشائكة.

- وفي السهول تحولت كل مزرعة إلى حصن يأوي وحدة للعدو.

وفي المدن أغلقت كل الممرات تقريبا بحواجز المراقبة الدائمة وعزلت الأحياء بالأسلاك الشائكة، وبقيت هذه الحالة حتى الاستقلال.

كما أقيمت مراكز رقابة محصنة على طول محاور الطرق الآتية:

- الأربعاء- سور الغزلان

- البليدة - المدينة- البرواقية

- البويرة- سور الغزلان

- شرشال- تنس

- الشلف- برج بونعامة

- الخميس- ثنية الأحد

- الخميس- البوراقية

وفي كثير من الأحيان لم يكن الجيش الفرنسي يسلك هذه المحاور إلا مرة أو مرتين في الأسبوع مدعما بالقوات الخاصة والطائرات لتموين المدن والثكنات ومعسكراته.

الباب الثالث

3- القمع:

الفترة من 20 أوت 1956 إلى نهاية 1958:

ان تاريخ القمع الاستعماري المسلط على الشعب يعود إلى بداية الاحتلال فمنذ ان وطئت إقدام الاستعمار الفرنسي ارض الجزائر- بدءا بغزو العاصمة وما صاحب هذا الغزو من دمار، وخراب وتقتيل وتتكيل وتشريد- والقمع والإرهاب هما السيمتان البارزتان في علاقات الإدارة الاستعمارية بالشعب الجزائري، أفراد وجماعات كل رفض للوجود الاستعماري، وكل شكل من أشكال المقاومة، تتخذ كذريعة لممارسة أساليب القمع الشنيعة للإنسانية، وان شهادات التاريخ مرعبة كلها خزي وعار في جبين الاستعمار المحتل، هذه الشهادات تثبت مدى الجرائم الوحشية التي اقترفها العدو في حق المواطن، والوطن الجزائري، فالاحتلال في حد ذاته مظهر من مظاهر الانحطاط الحضاري، عكس ما يدعيه منظروه الذين يزعمون وأنهم نشروا الحضارة في الشعوب التي استعمروها، وان الوضع الخطير الذي تركه الاستعمار بعد دحره وطرده من الجزائر المنتصرة انتصارا حاسما، لهو شهادة قاطعة بان الاستعمار يعني الانحطاط والتخلف قائم على أساس النهب والسلب وطمس وتقويض كل المقومات الأساسية للشعب الذي وقع تحت سيطرته.

كانت هذه إشارة فقط ليسهل تحديد حجم القمع الذي واجهته الثورة ولكي تكون الصورة لوضح ينبغي تحديد الظروف والمحيط السياسيين لهذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عن إجراءات القمع وتطبيقاتها على الشعب النائر.

1-طبيعة المناخ السياسي العسكري ما قبل 20 أوت 1956.

2-إستراتيجية الاستعمار في نطاق (الجزائر فرنسية) حلم الاستعمار بالبقاء في الجزائر باعتبارها بوابة لإفريقيا وان اكتشاف البترول في الجزائر وما تملكه من احتياطات بترولي في الميدان الاقتصادي زاد من حرص الاستعمار في الاحتفاظ بالجزائر كأرض فرنسية.

3-الحالة النفسية للعدو – فرنسا الدولة- المتأثرة بهزائمها في الفيتنام، وما انجر عنها من كوارث سياسية واقتصادية.

4-خروجها من المغرب وتونس ومن بعض الدول الإفريقية، وتفرغها لقمع الثورة في الجزائر.

5-وضع المعمرين المستوطنين كقوة سياسية ضاغطة على الايليزي نظرا للامتيازات التي يتمتعون بها في الجزائر والتي أصبحت قضية الجزائر في نظرهم قضية بقاء أو فناء، بالإضافة إلى الطابع العنصري الذي كان يطبع معاملاتهم مع الجزائريين، حيث كان الشعور السائد النابع من قناعتهم بدعم الدولة الفرنسية لهم.

ومن ورائها الحف الأطلسي وخصوصا وان فرنسا تعتبر في ذلك الوقت فاعلا أساسيا في هذا الحلف إذ تحتل مركزا هاما في العالم الغربي- بأنهم يحتلوا موقعا استراتيجيا في الجزائر، ولا يمكن أن ينازع فيه لا بالنسبة لفرنسا فحسب وإنما كل دول الحلف الأطلسي، وإنهم يرفضون حتى مجرد إقرار بعض الحقوق للجزائريين، ولقد حبسوا النبض للدولة الفرنسية عدة مرات ووجدوها تخضع لإرادتهم ومنها نذكر حادثة بصفة عرضية.

يوم 6 فيفري 1956 قدم إلى الجزائر في مولي رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك لتتصيب الجنرال (كاترو) حاكما عاما للجزائر، فتظاهر الكلون، ضده ورموه بالطماطم فانسحب في مولي، واستقال (كاترو) على الفور ظنا منهم وان كاترو لا يخدم مصالحهم في الجزائر وهذه المصالح أساسا هي قمع الثورة التحريرية والقضاء عليها، وجاء بعد ذلك لاكوسط المشهور (بربع ساعة الأخير) إذا في هذا الجو المشحون بالحقد والغضب والخوف نتصور الهستيريا التي أصيب بها العدو، والتي أفقدته صوابه وهزت كيانه وراح في جنون كامل يفترس كل الجزائريين لا يفرق بين ذا وذلك إذ اعتقد بان كل الجزائريين (فلاقة) وراح يتعامل مع الشعب على أساس هذا الاعتقاد.

ولنذكر بعض المشاهد الرهيبة التي رسمتها دماء الشهداء الزكية، وأجسام المناضلين الطاهرة هذه المشاهد كلها أجسام ممزقة، ومشوهة، وأرواح معذبة، وجثث متناثرة ومنازل محروقة ومدمرة وحشود من البشر مغلطة بسلاسل من حديد مذعورة مقهورة، وصيحات، وصرخات وآهات من العذاب، تلكم هي صورة مأساوية فضيعة ولكن ليست مأساة ولا فضيعة بل هي واجب ثمن حصة كل مواطن كان يجب أن يدفعها كضريبة لتحرير نفسه ووطنه.

وسائل القمع:

شهدت هذه الفترة (20 أوت 1956- نهاية 1958) من تاريخ الثورة نشاطات سياسية عسكرية خاضتها جبهة التحرير الوطني ضد العدو في كل نواحي الولاية: المراكز العمرانية منها والجبالية وإذا كان العدو جند منذ اللحظات الأولى لاندلاع الثورة كل وسائل القمع والتدمير لواد الثورة في مهدها فانه في هذه الفترة بالذات قد أعلن حربا ابادية إذ لم يعد قادرا على إخفاء لهيب الثورة وضرباتها على الرأي العام الداخلي والخارجي.

فالثورة بعنفها وتصميمها فرضت عليه العلنية والمجاهرة بحيث نفذت عدة عمليات فدائية وبصورة مستمرة في المدن الكبرى وأصبح صوت رشاش المجاهدين مدويا في أبواب العاصمة (معركة الكومندو سي علي خوجة) كما نصب المجاهدون عدة كمائن في الطرق الوطنية الرئيسية في وضع النهار على مسمع ومرأى الجميع وان أخبار بطولات جيش التحرير أصبحت حديث الأئس في جميع الأوساط وان التهويل فعل فعله رغم محاولة التقليل والإخفاء من طرف أجهزة العدو، والثورة أصبحت قادرة على ان تضرب في أي مكان وفي

أي زمان، ولم يعد أي شخص أو أية منشأة في مأمن منها بحيث يمكنها أن تصل إلى أي هدف وبرهنت على ذلك في الميدان.

انتقام العدو من المواطنين العزل:

ولإبراز وحشية القمع وفضاعة الجرائم التي اقترفها الاستعمار خلال هذه الفترة (20 أوت 1956 إلى نهاية 1958) ضد المواطنين في هذه الولاية نستدل ببعض الأمثلة:

1- على اثر كمين نصبه المجاهدون بقيادة الشهيد مصطفى لكحل لقافلة عسكرية بالمكان المسمى (الفرنان قرب البرواقية ولاية المدية) يوم 23 أكتوبر 1956، وحقق المجاهدون انتصارا حاسما حيث لم ينج من الموت سوى حارس الغابة الذي كان يرافق أفراد هذه القافلة.

وعلى اثر هذا الكمين راح العدو يحصد كل من وجده في طريقه وقد حشد عددا من المواطنين في مدخل مدينة البرواقية ورشهم رشا بالرصاص.

أما الفرنسيون المدنيون فقد خرجوا إلى الشوارع وهجموا على المواطنين فنكلوا بهم شر تنكيل (وفي هذه المدينة اشتهر احد السفاحين من بين ضباط الجندرمة بالقتل والتمزيق ويدعى (فلوري) إلى أن وضعت له الثورة حدا في عملية رائعة كانت هجوما على إحدى الحانات في قلب المدينة- البرواقية).

2- إعدام رئيس بلدية بوفاريك المدعو اميدي فروجي وهو في نفس الوقت رئيس اتحادية البلديات على مستوى الجزائر.

تم إعدام هذا المجرم يوم 56/12/28 بالجزائر العاصمة وبعد نشر الخبر خرج الفرنسيون العنصريون إلى شارع (روميشلي سابقا) وراحوا يمزقون الجزائريين تمزيقا، وكان يوما مشهودا إذ ارتكبت فيه جرائم وحشية في الشوارع من طرف الهمجيين.

3- بعد عملية ناجحة لجيش التحرير قتل فيها ضابط فرنسي بأولاد فارس (الشلف) انتقم العدو من المواطنين العزل كعادته فقتل 120 مواطنا في مكان واحد.

4- في شهر ماي سنة 1957 على اثر الكمائن التي نصبها جيش التحرير الوطني لقوافل العدو بسكانودي ووادي المالح والزبربر بنواحي تابلاط.

انتقم العدو من المواطنين الأبرياء فقتل 374 مواطنا واحرق المنازل وضرب كل المنطقة.

5- وفي مدينة المدية بعد العملية الفدائية ضد الجندي المسمى (لوبير) بتاريخ 1956/12/15 بباب الأقواس فقد العدو صوابه وراح يحشد المواطنين وإخراجهم عراة من الحمامات نساء ورجالا وقادهم إلى إحدى ساحات المدينة وسلط عليهم سوط عذاب بالكلاب والدبابات وقتل

الكثير قتلا شنيعا إذ القي بأحد المواطنين على وتد حديدي مزق جسمه فلفظ أنفاسه فوق ذلك الودت على مرأى ومسمع الجميع، كما دمر العدو منزل الشهيد علي ولد خاوة الذي كان معلما للقران الكريم واستشهد مع بعض أفراد عائلته، كما دمرت عدة منازل بالمدفع في نفس اليوم.

6-وفي 30 نوفمبر 1956 انتقم العدو من مواطني شرشال بواد الحمام قرب شرشال فانتمم العدو على اثر كمين نصبه جيش التحرير من المواطنين بالقتل والتنكيل.

هذه أمثلة لبعض الانتقامات التي تعرض لها المواطنين، وفي الواقع أن كل نواحي الولاية كان حجم الانتقام فيها كبيرا جدا خلال هذه الفترة بحيث كان الانتقام بأشكال متنوعة من قتل وإخفاء والحجز الجماعي هذا بالنسبة للضحايا، أما حجم الهدم والتدمير والحرق فلم تسلم منه أية قرية أو دشرة أو أي تجمع سكاني أخر يكون قريبا من مكان العمليات التي ينفذها جيش التحرير سواء كانت عملية فدائية أو هجومات.

وفي خضم هذه الأحداث عزز العدو قواته العسكرية عددا وعدة اذ اضطر في هذه الفترة إلى استقدام وحداته العاملة ضمن الحلف الأطلسي لمساندة قواته المتواجدة آنذاك في الميدان والتي ظهر عجزها في تحقيق أحلام الاستعمار في إخماد لهيب الثورة التحريرية في الوقت الذي أسقطت جبهة التحرير الوطني أسطورة وخرافة ملاحقة قطاع الطرق الخارجين عن القانون.

بفضل ضربات الثورة الموجعة تراجعت غطرسة (الكولون) وانهارت معنوياتهم وتحول الحديث بالتلذذ عن سحق (الفلاقة) إلى حسرة وقنوط لأنهم شعروا بقرب الكارثة وأصبحوا يتساءلون هل يتكرر هنا (ديان بيان فو)؟ آه؟ أين فعالية الضباط المتخصصين في قمع الثورات وحرب العصابات.

- أين مصالح المخابرات متعددة الأشكال والألوان؟

- أين النسور (التي التي تزرع الموت والخراب)؟

أمام صمود الثورة وتحديها لم تجد نفعا هذه الآلة الجهنمية حتى أن احد (الكولون) كان عضوا في البرلمان آنذاك اختل عقله وخرج يجري في شارع (الرديزلي) سابقا صارخا بأعلى صوته (يااصحاب القبعات الخضراء، الحمر، السود أيها الجبناء اخرجوا واذهبوا ليس بعيدا من هنا: في جبال الأطلس البليدي، في ساكامودي موقورنو) مشيرا بيده إلى هذه الأماكن لقربها من العاصمة؟.

فلما أيقن العدو بأنه يواجه ثورة وطنية منظمة تتمتع برصيد شعبي لا ينضب القى بكل ثقله في الميدان، محاولا بذلك إنقاذ سمعته وحماية شرفه العسكري المشرف على الهاوية، خصوصا وان جروح هزائمه في الفيتنام لم تلتئم بعد.

لقد اصدر قوانين وانشأ محاكم استثنائية وخول سلطات خاصة للقادة العسكريين تبيح لهم اتخاذ أي إجراء واستعمال كل الوسائل لتنفيذ سياسة القمع والإرهاب فاستباحوا دم الإنسان الجزائري وعرضه إذا اندفعت أجهزة القمع فانت على الأخضر واليابس بحيث بلغ القمع في المدن ذروته في هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها.

أما في الأرياف فقد كانت حرب إبادة حقيقية القتل الجماعي والتدمير الشامل للمداشر والدواوير وموازة لذلك شنت حرب نفسية بغيضة ضد السكان بواسطة المصالح الخاصة التابعة للجيش الاستعماري والمنتشرة في كل مكان وتعتبر الأرقام الواردة في الجداول الآتية خير تعبير عن ذلك.

المراكز العسكرية بالمنطقة الأولى (1)
فترة 20 أوت 1956 إلى 31 ديسمبر 1958

المجموع	مراكز التجمع	مكاتب لاصاص	الثكنات	السجون	المعتقلات	مراكز الحراسة	مراكز التعذيب
433	68	74	65	01	07	137	81

المراكز العسكرية بالمنطقة الثانية (2)
فترة 20 أوت 1956 إلى 31/12/1958

المجموع	مراكز التجمع	مراكز مراكز الاستخبارات الإجبارية	مكاتب لاصاص	الثكنات	السجون	المعتقلات	مراكز الحراسة	مراكز التعذيب
584	17	32	17	62	7	10	224	215

**عدد المراكز بالمنطقة الثالثة (3)
لفترة 20 أوت 1956 إلى نهاية 1958**

عدد مراكز التعذيب	عدد مراكز الحراسة والمراقبة	عدد المعتقلات	عدد السجون	عدد الثكنات لاصاص	عدد مكاتب التجمع	عدد مراكز المجموع	
92	263	03	08	34	20	13	433

**المراكز العسكرية بالمنطقة الرابعة (4)
لفترة 20 أوت 1956 إلى 1958/12/21**

مراكز التعذيب	مراكز الحراسة	المعتقلات	السجون	الثكنات	مكاتب لاصاص	مراكز التجمع
16	60	19	2	12	15	07

ج- أجهزة القمع:

قبل أن نتعرض بالتحليل إلى الإجراءات القمعية في المدن والمراكز العمرانية بصفة عامة، نضع أمامكم لوحة تمثل الأجهزة المكلفة بالقمع والتي كانت تمارسه أساسا في المدن وخارجها مع الملاحظة أن كل هذه الأجهزة سواء منها ذات الطابع العسكري أو الإداري كانت تخضع للسلطة العسكرية مباشرة بمقتضى السلطات الخاصة المخولة للقادة العسكريين في الجزائر واليكم أصناف الأجهزة العاملة في الميدان آنذاك:

- 1- بوليس الدولة (PE)
 - 2- بوليس المخابرات العامة (PRG)
 - 3- البوليس القضائي (PJ)
 - 4- الفرقة العملية للوقاية (DOP)
 - 5- جهاز الوقاية العمرانية (DPU)
 - 6- المكتب الثاني
 - 7- المكتب الخامس
 - 8- الحراسة الإقليمية (DST)
 - 9- مصلحة الجوسسة والمضادة للجوسسة (SDECE)
 - 10- الفرق الإدارية الخاصة (SAS)
 - 11- الفرق الإدارية العمرانية (SAU)
 - 12- المجموعة المتنقلة للشرطة الريفية (GMPR)
 - 13- المجموعة المتنقلة للأمن (CMC)
 - 14- الجندرية.
- بالإضافة إلى القوات العسكرية التي كانت تمارس القمع في أبشع صورة.

د- الإجراءات القمعية وأساليب تطبيقها:

أولا: القمع في المدن أو المراكز العمرانية:

1- المكتب الثاني:

أعوان هذا المكتب متخصصون في عمليات الاستنطاق والاستخبارات ويتواجدون في مقر القيادة العسكرية للجيش الاستعماري مثل البليدة- مليانة - الشلف الأصنام سابقا المدينة - سور الغزلان وغيرها.

وكان أعوان هذا الجهاز عنوانا بارزا للربح والهلع مهمتهم الأساسية، كشف خلايا التنظيم وتحطيمها، وخصوصا الوقاية من العمليات الفدائية التي كانت تهز أركان الوجود الاستعماري عامة وهذا الجهاز خاصة باعتباره يحتل المقدمة بكامل فروعه إذ كان على اثر كل عملية فدائية أو أعمال تخريبية ضد منشآت العدو أو هجومات جيش التحرير على مراكزه زيادة على الانتقام من المواطنين بالقتل والتنكيل والمداهمات التي تقوم بها أجهزة القمع الأخرى، (عسكر، بوليس، جندرمة) يتولى أعوان هذا المكتب استنطاق المقبوض عليهم من المشبوهين وغير المشبوهين، مسلطين عليهم كل أنواع العذاب من بتر الأعضاء وتشويه الأجسام وتمزيقها إلى القتل أشنع الصور، ولا زالت شهادات المناضلين حية في أجسامهم وفي ذاكرتهم وقد اشتهر منهم غلاة سفاحون في كل مدينة من مدن الولاية الرابعة.

نذكر على سبيل المثال (الكابتان ليجي الذي عرف بمحاولاته لإجهاض الثورة وإرهاقها، وكم هم الذين أسندت لهم هذه المهمة ولكنهم أخفقوا بفضل اليقظة والحذر والحيطة التي كانت ميزة أعضاء جبهة وجيش التحرير الوطني، وقد تم إحباط المؤامرات ولو كلفت الكثير من التضحيات ونذكر أيضا الكابتان (ماريو) وجوني هذا الأخير الذي كان من ضباط هذه المصلحة القمعية في مدينة المدينة خلال هذه الفترة 1956 - 1958.

وما بعدها كان ينتقل بين مراكز التعذيب ليقتنص فريسته المفضلة وكأنه مسعور فعلا، ويذكر شهود العيان انه كان يسكن في مدخل مدينة المدينة (باب الجزائر) جنوبا في الطريق الرئيسي وقد وصل به الجنون والسلوك الإجرامي إلى منع الطريق على المواطنين لأنه أصبح فناصا مترصدا لكن والحمد لله لم ينج من عقاب الثورة إذ بتر ذراعه في اشتباك مع فوج من المجاهدين في منزل المناضل (مازيغي) في حي من أحياء المدينة، وكان ذلك برشاش الشهيد (بن كالي محمد) المدعو سي صالح وسندرسها بالتفصيل في المرحلة القادمة.

المكتب الخامس:

هذا الجهاز متخصص في النشاطات النفسية إذ كان يتكون من الضباط السامين الاختصاصيين في الاستراتيجيات المتعلقة بالحرب النفسية وكانت له فروع على مستوى كل مركز قيادة عسكرية التي كانت مقراتها تتواجد في مدن الولاية.

والجدير بالذكر أن اغلب مناطق الولاية الرابعة كانت تابعة للتقسيم الجغرافي للجيش الفرنسي للمنطقة المسماة (المنطقة الجنوبية للجزائر) Z.S.A ثم إن هذه المنطقة العسكرية مجزأة إلى أقسام عسكرية SM على مستوى كل دائرة إدارية في ذلك الوقت أي ابتداء من سنة 1956 وداخل هذه الأقسام العسكرية كانت هناك معسكرات حسب أهمية المكان.

الفرقة العملية للحماية: D.O.P

هو جهاز عسكري رهيب مهمته الاستتطاق ويمارس مهمته القمعية على نطاق واسع، إذ توجد فروع في كل دائرة ويتنقل ويستقبل المقبوض عليهم من طرف الأجهزة الأخرى بناء على صلاحياته الواسعة والتي لا تخضع لأي مراقبة وان مراكزه مخصصة للتعذيب كما سنتحدث عنه في موضوع مراكز التعذيب.

4-جهاز الحماية العمرانية D.P.U :

إذا كان الجهاز السابق (DOP) له اختصاص عام وشامل على كامل التراب الوطني فان هذا الجهاز (D.P.U) يختص أصلا في القمع والإرهاب داخل المدن العمرانية وانه يتصف بالعنف اللامحدود داخل المدن، وقليل من المواطنين الذين وقعوا في قبضته نجو من الموت أو التشويه ومقراته خاصة للتعذيب والاستتطاق.

5- الجندرية:

هذا جهاز تقليدي كما هو معروف تاريخيا في القمع والإرهاب لا يحتاج إلى تفصيل إنما فقط نلاحظ بأنه خلال هذه الفترة قد تطورت مهمته أيضا في إطار السلطات الخاصة إذ كان بطبيعته جهاز قمع يخضع لمراقبة المحاكم على أساس صفة الضبط القضائي الممنوحة له لكن خلال حرب التحرير تحول أعوانه إلى جلادين سفاحين وان تعذيبهم أفسى أنواع العذاب.

هـ- تطويق المدن:

عرفت كل المدن والتجمعات السكنية بالولاية خلال هذه الفترة (20 أوت 1956 – نهاية 1958) حصارا شديدا استهدف منع تنفيذ العمليات الفدائية ومراقبة السلع والبضائع التي تخرج منها عن طريق المواطنين للحيلولة دون وصولها إلى المجاهدين إذ سدت كل المعابر المؤدية إلى المدينة بالأسلاك الشائكة بحيث لم تبق إلى الشوارع الرئيسية التي وضعت فيها حواجز متقاربة ونقط للحراسة والتفتيش وتغلق فورا انطلاق صفارات الإنذار كإعلان بوقوع عملية فدائية.

و- حضر التجول:

في البداية كان حضر التجول مؤقتا ويقرر على اثر العمليات الفدائية أو إجراءات التفتيش الدقيقة، لكن خلال هذه الفترة تم إقرار حضر التجول بصورة مستمرة حيث بقي ساري المفعول حتى الإعلان عن الاستقلال.

وكان حضر التجول يمتد من قبيل غروب الشمس إلى مطلعها.

ولم يقتصر الأمر على المدن، فحسب وإنما امتد حتى الطرق الوطنية الرئيسية وعلى سبيل المثال فإن الطريق الوطني رقم 1 كان يمنع فيه المرور ما بين البلدية والمدينة ابتداء من الساعة السادسة مساءً إلى السادسة صباحاً.

وكل مواطن يضطر إلى المرور خلال هذه المدة يتعرض للقتل فكان الحاجز الأول في المكان المسمى (شاتو انجليز) القلعة حالياً قرب شفة والحاجز الثاني بمحجر الجبس قرب المدينة وبين الحاجزين المذكورين كان المرور في النهار يتم ضمن قافلة عسكرية وعلى مستعملي هذا الطريق أن ينتظروا وصول القافلة في الذهاب والإياب.

وهكذا كانت كل الطرق الرئيسية الأخرى التي تعبر الولاية، أما الطرق الثانوية فكانت تابعة للمناطق المحرمة ولا يجوز استعمالها إلا بترخيص من (لصاص) والشائع في ذلك الوقت أن كل من يضطر من المواطنين للخروج ليلاً أي خلال فترة حظر التجول يطلق عليه الرصاص دون سابق إنذار، وبذلك تحولت المدن إلى سجون رهيبية سلبت فيها كل الحريات والحقوق.

ي- المداهمات:

كانت أجهزة القمع تفاجئ المواطنين ليلاً في منازلهم مستعملة في ذلك أسلوباً إرهابياً شديداً إذ تختطف المواطن من منزله وتتجه به نحو مراكز التعذيب إن لم تقتله أمام أفراد عائلته، وكان هذا كثير الوقوع بمجرد ما يبدي المواطن مقاومته لهذا العنف ولو بالكلام أو التأخر في فتح الباب، يبحث خلق هذا النوع من الإرهاب جواً من الذعر والخوف في كل وقت، خصوصاً وأن هذه العمليات لم تكن من فعل الأجهزة الرسمية التي تخضع لسلطة ما فحسب بل كثيراً ما كانت شردمة من الكولون (الأقدام السوداء) تقوم بمثل هذه الأفعال من اختطاف للمواطنين ليلاً، إلى النهب والسلب وهتك الأعراس.

- مراكز التعذيب:

من الصعب جداً وضع جرد شامل لمراكز التعذيب التي كان يساق أو يوجه إليها المواطن المناضل الذي يقع في قبضة لؤلئك الجلادين السفاحين لأن أغلبها كان سرية ومحجوباً عن الأنظار، وفي أماكن مخفية محظورة غير خاضعة لأي شكل من أشكال الرقابة خصوصاً في هذه الفترة التي شرع فيها تطيب السلطات الخاصة-التي بمقتضاها أصبح كل شيء خاضع للسلطات العسكرية في الجزائر، بما في ذلك المحاكم العسكرية التي أنشئت خصيصاً لقمع الثورة وإرهاب الثوار، ثم إن الاختصاص من حيث المكان والزمان الذي يحدده القانون لم يعد معمولاً به في نظرنا على الأقل، وكذلك تحديد الصلاحيات والاختصاصات لمختلف المقيمين في الجزائر مسلحون يلقون القبض على من شاءوا بتهمة أو بدونها حتى الأعوان الإداريين البسطاء، لذلك يمكن القول، بأن الجزائر بعرضها وطولها خلال هذه الفترة، أصبحت تعيش في جو من الإرهاب والتقتيل الجماعي.

لقد ورد في المقدمة ان كل المعمرين ومن ورائهم كل الفرنسيين المقيمين في الجزائر أصبحوا جنودا منهم من ارتدى الزي الرسمي مهيكلا في وحدة من الوحدات ومنهم من تطوع في جهاز من أجهزة القمع (بوليس) ومنهم من بقي مدينا ولكنه مجند متطوع بدافع الحقد العنصري والحفاظ على الامتيازات التي تحصل عليها على حساب الجزائريين أصحاب الحق الشرعي ولكنك حرمتهم من كل شيء، أضف إلى ذلك استقدام بعض الأعوان (البوليس) وضباط مختصين في الشؤون الأهلية من المغرب وتونس بعد استقلالهما والذين قدموا إلى الجزائر مشحونين حقدا وغضبا وكرها.

إن مراكز التعذيب التي أقامها العدو خلال هذه الفترة عبر الولاية والتي تمكنا من الاطلاع عليها وحصرها تبلغ 416 مركزا مع العلم أن مراكز التعذيب التي كانت تستعملها العصابات المدنية من الكولون والتي لم تخضع لأية سلطة في ذلك الوقت، لازال الكثير منها مجهولا.

وللتذكير فقط انه بعد الاستقلال تم العثور على أكداش من جثث الشهداء في كثير من مراكز العدو التي لم تكن مخصصة للاستتطاق أو الحجز.

وكثيرا من أبار المياه ووجدناها بجثث الشهداء لان هذا المزارع تحولت إلى ثكنات ومراكز تعذيب خفية، فالمواطن يلفظ أنفاسه تحت التعذيب وبعد ذلك تقذف جثته في الجب (البئر أو يلقى فيها حيا).

والملاحظ أن كل الثكنات وكل مقرات مصالح أجهزة الأمن المختلفة التقليدية منها او التي أنشئت استثناء لمواجهة حرب التحرير هي بمثابة مراكز للتعذيب، فحيثما اقتيد المقبوض عليه يصادف زبانية العذاب.

وبدون مبالغة فان الأقسام الخاصة بالتعذيب أصبحت القاعدة منها: القتل والتشويه، والاستثناء هو النجاة.

واليكم قائمة هذه المراكز بأسماء أماكنها:

غير أننا نذكر هنا بعض المراكز التي اشتهرت بالقتل والتعذيب ومنها:

- مركز وادي العلايق قرب البليدة التي اقترن اسمه باسم السفاح (لاغايار) المحامي السابق حيث أصبح هذا المركز مجزرة رهيبية ومقبرة حقيقية والتاريخ شاهد على ذلك.
- مركز سور الغزلان ووادي الجنان بديرة.
- مراكز عين بوسيف وقصر البخاري وتابلط، الداميات، والمدية، وبالسترو لودي سابقا، ذراع السمر والأربعاء.
- مركز شرشال، مليانة، الشلف، تنس، ثنية الحد، وبوفارك، الشراقة، بني مسوس، سطاوالي، القليعة، والبرواقية، والقائمة طويلة.

وللتذكير فقط فان جهاز القمع المسمى (D.O.P) كانت له مراكز تعذيب في كل مدن الولاية، وكان يمارس القمع والإرهاب حتى أصبح معروفا باسم (الدوب يعني الموت أو التشويه) لمن وقع في قبضته .

ويمكن الجزم بان المواطنين الذين احتجزهم هذا الجهاز اغلبهم اختفى، بمعنى استشهدوا تحت العذاب.

أساليب العذاب:

لقد تفنن السفاحون والجلادون الذين ينتمون إلى مختلف أجهزة القمع الاستعمارية في أساليب التعذيب، فمنهم من تدرّب على يد النازيين ومنهم من تخصص في أنواع التعذيب خلال الحرب الاستعمارية الظالمة في الفيتنام ومنهم من كان أصلا مهنته الإجرام والتنكيل بالبشر في الشعوب المستعمرة (بفتح الميم).

كل هذه الأصناف والأشكال اجتمعت في الجزائر خلال الثورة التحريرية لتتكلم وتعذب وتمزق الشعب الجزائري في المراكز العسكرية وغير العسكرية.

ومن الأساليب التي كانت تمارس في جميع المراكز: استعمال التيار الكهربائي في أعضاء الجسم لحساسة وأحواض المياه، تشويه الأجسام بالكتابة بواسطة السكاكين وبالنار بواسطة قبضان من حديد إلى الإغراق في الأحواض بعدما تملأ بالمياه القذرة والصابون والكريستو، التعليق من الأرجل والإلقاء في صهاريج الخمر إلى قلع الأظافر والأضراس.

وباختصار كل الصور التي لا تليق بالكرامة الإنسانية كان يمارسها هؤلاء بكل وحشية ضد المواطنين.

بالإضافة إلى التعذيب الجسدي هناك التعذيب النفسي التي ظهرت آثاره فيما بعد اشد واخطر إذ اختلت عقول الكثير من المواطنين رجالا ونساء وحتى الأطفال لم ينجوا من العذاب. ومن الصور الفظيعة التي تبقى وصمة عار في جبين الاستعمار هي : فقر بطون النساء الحوامل بالرهان حول الجنين اهو ذكر أم أنثى ؟ واغتصاب المحارم أمام أهلهم قصد تدمير شخصية المواطن المعنوية انطلاقا من أن الجزائري غيور اشد الغيرة على شرفه. وعرضه وكانوا يدنسون هذا الشرف مستهدفين بذلك تثبيط العزائم وإفشال الإرادة، لكن الثوري استهان كل شيء من اجل تحقيق الهدف الأسمى ألا وهو الاستشهاد أو النصر.

ففي مركز وادي العلايق مثلا كانت تبتز الأعضاء ويمزق الجسم ثم يرمى في القبر المهيا مسبقا من طرف الضحية نفسه وكذلك في مراكز الدوب ومراكز المكتب الثاني المتواجدة في كل مدن الولاية.

إن المفقودين أثناء الحرب كلهم ذهبوا ضحية في هذه المجازر التي كانت خالية من كل القيم والأخلاق المتعارف عليها.

وقد اعترف البعض منهم بعد الاستقلال بأنه قد مارس التعذيب في الجزائر ومنهم جون ماري لوبان العنصري الذي اعترف بأنه قام بتعذيب المواطنين في زرادة وفي غيرها خلال تواجده بالجزائر كعسكري أثناء حرب التحرير.

السجون:

إن السجون الواقعة في تراب الولاية الرابعة هي : سجن سرکاجي الشهير-الجزائر العاصمة، سجن الحراش، سجن البليدة، سجن الأضنام شلف حاليا، سجن والبرواقية، سجن المدية. هذه السجون بالإضافة إلى أنها تستعمل للحبس الاحتياطي فإنها خاصة بتنفيذ العقوبات ذات الطابع الجنائي كما أن المحكوم عليهم من المناضلين بالأشغال الشاقة كانوا ينقلون أحيانا إلى سجن لامبيز الشهير) أما الملحقات أو الاحباس الاحتياطية كانت توجد في كل مدينة ومنها حبس بوفاريك، الأربعاء، بودواو، الأخضرية، سور الغزلان، المدية، القليعة، تنس، مليانة، الخميس، ثنية الأحد، وادي الفضة، عين الدفلة، شرشال ، تابلاط، الأضنام.

وخلال هذه المرحلة اكتظت هذه السجون بالمجاهدين وكان السجنين يقضي فيها سنوات دون محاكمة تعسفا، وعلى سبيل المثال فان سجن سرکاجي رغم سعته وتعدد طوابقه، فان السجناء كانوا ينامون مكسبين على بعضهم البعض (وكان مشهورا (قاع- رأس) حيث ينامون باتجاه معاكس (رجل-رأس) أما أساليب القمع داخل هذه السجون فهي اشد وأقسى تكفي بعض الأمثلة.

ففي سجن البليدة مثلا كان مدير هذا السجن يدعى كصار أو كصال، وقد عين خصيصا لتطبيق الإجراءات القمعية الإرهابية منها انه شكل عصابة ثلاثية هو -كصار- وشخص يسمى تيطو- وهو مجرم تعود الإجرام وطبيب السجن. بمجرد الدخول إلى السجن في اليوم الأول يمر السجنين بقلم الضبط من هنا تبدأ المعركة إلى أن يصل إلى الطبيب، لا يصدق احد إذا قلنا بان الطبيب بدلا من أن يفحص السجنين فحفا طبيا كان يسجل له محضرا بعد استنطاقه بالضرب والشتم وهذا ما يصدق القول السابق بان كل واحدا أصبح يعذب ويستنطق حتى طبيب الإنسانية (اختلت الأمور وانعكست الأشياء !).

وفي هذا السجن نفسه هناك إجراءات إرهابية خاصة بتناول الطعام وأي طعام ؟

التصنيف عند سماع الجرس الملعون ثم الانطلاق والجري السريع جدا بالاثنتين معا واحد يمسك بأصبع يد صاحبه بشدة وإذا انفصل عنه صاحبه من شدة السرعة يحرم من الطعام، ويتعرض للضرب بالهراوة وعند الوصول إلى شباك الصحن، (قميلة) يدفع صاحب المطبخ هذا الصحن بسرعة وحرارته شديدة بحيث يحرق اليد.

وإذا لم يمسه حلت الكارثة فهناك زبانية بالمرصاد وقليل من ينجو من عذابهم، ويعود إلى الحجرة سالما وهذا ما فجر قريحة المناضل سي محمد حيث انشد.

شور القيشات نردم بديا
ونجي راجع في حويلة دونيا
تلقى في الطريق فحة مبنيا
إذا وصلت لصال سي بلعفيا
اسمع مني واش يخلق في الدنيا
هاذي في التاريخ تبقى مرويا
نرفع بالامين ونزيد بالشمال
والصقان اجميع يجر او إرسال
اتحذر من صكة شارف لبغال
احسب روحك راك من جملة الأبطال
وأحفظ عني باش تحكي للأجيال
وفرنسا يا ناس ما فيها عقال.

ملاحظة: هذا المناضل قد فقعت عينه اليسرى بضربة مفتاح عبارة عن قضيب من حديد في شهر جوان سنة 1957 وهو في طريقه إلى الحجره جريا ذنبه الوحيد أن الصحن سقط من يده من شدة الازدحام المفروض فرضا على السجناء.

أما في الليل زيادة على أن الكلام ممنوع منعا باتا وحتى الهمس يجب أن يكون خفية، في حالة النوع يجب أن يكون الرأس تحت الزاوية (مغطى ولا يسمح بتعرية الرأس ولو كان في حالة نوم) كما أن الشخص يجب أن يكون ممددا طوال الليل وممنوع ثني الركبتين وإلا فإن "البريفوات" حراس الليل وهم من المجرمين خلال هذه الفترة (لان بعد ثورة السجنون تغير كل شيء وأصبح النظام هو المنظم لحياة السجن) يضربون (المخالف) ضربا شديدا على الركبتين مع تسجيل الاسم في الدفتر الأسود، ورغم كل هذا وذلك فإن المجاهد تحدى بقوة إيمانه وتحمله إدارة السجن نفسها حيث كانت تقام الصلاة جماعيا وهي ممنوعة ويدرس وينشد الأناشيد الوطنية وهي جريمة بالنسبة لهم وفوق ذلك لم ينقطع الاتصال بالثورة.

أما في سركاجي حيث السجناء موزعون حسب الأصناف (رجال، نساء) ثم إن بالسجن حي خاص بالمحكوم عليهم بالإعدام والذين كانوا ينادون بالشهداء، انه لسجن مرعب في شكله وجوه وعلاقته (وتجدر الإشارة إلى انه ينبغي التنويه والإشادة بشباب العاصمة جنودا وفدائيين).

من المعروف أن سركاجي كان ينقل إليه السجناء الذين يحاكمون أمام المحاكم العسكرية من مختلف مدن الولاية الأصنام ، البليدة ، المدية ، سور الغزلان و نواحي العاصمة و اغلب هؤلاء جنود و فدائيين انقطعت الصلة بينهم و بين عائلاتهم لأنهم يعرفون عائلاتهم أين لجأت و لا عائلتهم تعرف أخبارهم فهؤلاء سكان العاصمة يحلون محل العائلات : يقدمون الأسماء إلي عائلتهم تعرف أخبارهم فهؤلاء سكان العاصمة يحلون محل العائلات : يقدمون الأسماء إلي عائلاتهم و تصبح قفة الأكل تأتي إلي السجن على أنها جاءت من عند عائلة المعني و كذلك حوارات ترسل إلى المساجين . فكان تضامنا رائعا ينسى المسجون همومه و أحزانه و يندفع في هذا الوسط الثوري الطاهر. حقا ثورة الجزائر ملحمة تاريخية رائعة .

و اخلد الأيام في سجن سركاجي هي تلك التي كان يتم فيها تنفيذ حكم الإعدام في المناضلين عادة أن التنفيذ يتم قبل الفجر أي حوالي الساعة الثانية صباحا . بمجرد هجوم الغلات لخطف الشهيد من الزنزانة يرعد السجن رعدا رهيبا بكلمة : الله اكبر تحيا الجزائر و بعدها ترديد الأناشيد الوطنية ممزوجة بزغاريد النساء ، لفترة الصباح كاملة ، ثم الإضراب عن الأكل و يتحول الأسى و الحزن إلى فرح و استبشار بنصر الجزائر ، و يروي شهود العيان بان حراس السجن و ضباطهم كانوا يصابون بذهول شديد من هذا الموقف الرائع .

و كان اليقين السائد لدى السجناء بان أرواح الشهداء لم تذهب سدى فهي ثمن الاستقلال فهو يقين حقا وشعورا صادقا لأنه تحقق والحمد لله.

واهم حدث وقع في هذا السجن هو القضاء نهائيا على ما كان يسمى "البيريفوات" حراس الحجرات، مسؤول الصالات وهم من المجرمين فرضتهما الإدارة الاستعمارية لقد قرر المساجين المناضلون بوضع حد لسلوك هؤلاء المجرمين حيث تكلفت كل حجرة بالقضاء ليلا على حراسها وقد نفذت هذه العملية في وقت واحد في جميع حجرات السجن، فوقع ما وقع ولكن إدارة السجن رضخت أمام إرادة السجناء وأصبح تعيين هؤلاء من المناضلين وبذلك تمكن السجناء من تنظيم حياتهم على قواعد نضالية فنصبوا لجنة تأديب ومسؤولو الحجرة، كما نظمت دروس دينية ووطنية وعين إمام في كل حجرة للصلاة.

أما الشهداء أي المحكوم عليهم بالإعدام فكان يحكمهم نظام خاص ومعاملات خاصة حيث يوزعون على زنزانات رهيبة وتطبق عليهم إجراءات صارمة في الحراسة ليل نهار وهم يقضون مدة تطول أو تقصر داخل الزنزانة في عزلة تامة ومحجوبون عن بقية السجناء بحيث لا يرون إلا الحراس الخاصين بهم ورغم ذلك فان المحكوم عليه بالإعدام كان يتمتع بمعنويات عالية جدا بفضل إيمانه وقوة عزمته فكان يصلي ويدرس وبعلم أن الأجل بيد الله.

ونسجل هذا للتاريخ بان السجون والمعتقلات كانت في الغالب على اتصال دائم بنظام جبهة التحرير أو جيش التحرير وذلك عن طريق العائلات بمناسبة زيارة المساجين او عبر قنوات أخرى مباشرة كما ان بعض الحراس الجزائريين المنتسبين إلى نظام جبهة وجيش التحرير الوطني كانوا يقومون بالاتصال وخاصة المراسلات بين النظام ولجان السجن، وكان يتم ذلك في السرية المطلقة بحيث حارس واحد يتصل بمسجون واحد من الموثوق فيهم بعدم إفشاء الأسرار حتى للمساجين وهناك قناة أخرى تستعمل أحيانا هم بعض المحامين الفرنسيين الذين كلفتهم الجبهة في فرنسا للدفاع عن المناضلين في سجون الجزائر.

أما الأخبار لم تنقطع فكانت خلايا سرية تعمل على الحصول عليها أما عن طريق الجرائد تنسخها وتوزعها في شكل بطاقات صغيرة لا تلفت انتباه حراس السجن أو أخبار معارك جيش التحرير ونشاطه بصورة عامة بواسطة الزوار او بعض الحراس وكذلك متابعة تطورات القضية الجزائرية على المستوى الدولي وخصوصا طرحها في المحافل الدولية في دورات جمعية الأمم وان نظام جبهة التحرير تمكن من تنظيم بعض عمليات الفرار من

السجون حيث تمكن عدد من المجاهدين الفرار من سجن المدينة عن طريق تنظيم عملية من طرف جيش التحرير وكذلك من سجن الأصنام والبرواقية والبليدة، وكان في أغلبها عمليات ناجحة مكنت عددا من المجاهدين من العودة إلى صفوف جيش التحرير الوطني.

المعتقلات:

بالإضافة إلى المعتقلات التي كانت موجودة قبل الثورة والخاصة بالسياسيين فقد أنشئت معتقلات عبر تراب الولاية الرابعة نذكر منها (معتقل بني مسوس وتفشون قرب القليعة، لودي سابقا قرب المدينة، الداميات، بوسكري قرب قوراية بوقبرين، بوغار، كامورا برواقية للاعودة، شلف، بوفيس بأولاد فارس، سور الغزلان حوش شنو، البليدة، شاطو هولدن، دويرة، وسارة).

وكان يوجه إلى هذه المعتقلات فئات من المواطنين أما أولئك المناضلين الذين ينجون من الموت في مراكز التعذيب ولم تثبت ضدهم أية تهمة، (والجدير بالذكر أن التهم الجاهزة في ذلك الوقت والتي تلصق بأي مواطن في إطار القمع والإرهاب هي : المساس بأمن الدولة او المشاركة مع الخارجين عن القانون أو (فاعل أصلي أو شريك) والشريك يعتبر في نظر القانون الجنائي الفرنسي المعد خصيصا لردع الثوار كالفاعل الأصلي وتطبق عليه نفس العقوبة.

والفئة الثانية من المناضلين هم الذين يتمون مدة العقوبة السالبة للحرية بدلا من أن يذهبوا إلى ديارهم يجدون في باب السجن العربة في انتظارهم ويساقون مباشرة إلى احد هذه المعتقلات المذكورة أعلاه.

أما ظروف المعتقل فهي لا تختلف من حيث القمع عن السجن فالمعتقل معرض في كل وقت للعذاب وللقتل غير أن الفارق هو أن المسجون يخضع لإجراءات فقدان كل الحقوق المدنية والسياسية ومحروم من كل التصرفات في ماله وفي مراسلاته، وأما المعتقل يسمح له بان يحتفظ بنقوده ويمكن أن يرأسل ويوقع لأنه لايعتبر في نظر القانون فاقد الأهلية كما أن المعتقلين هم الذين ينظمون حياتهم الداخلية مما يمكن الكثير من التعليم والتكوين السياسي.

النفي والإقامة الجبرية:

لقد طبق الاستعمار إجراءات النفي على الجزائريين منذ احتلال الجزائر ابتداء من مقاومة الأمير عبد القادر الذي هو شخصا تعرض إلى فرنسا وكذلك الكثير من المجاهدين من أتباعه، ثم جاءت ثورة المقراني 1871 حيث نفي أخوه من طرف الاستعمار إلى جزيرة كاليدونيا وكذلك الشيخ الحداد، واستمرت إجراءات النفي إلى ثورة التحرير حيث أن الكثير من المواطنين اجبروا على مغادرة الوطن أو ابعدوا من جهة إلى أخرى داخله.

وكان اشد الإجراءات تعسفا فرض الإقامة الجبرية على المواطنين الذين يشتبه في أمرهم بأنهم ينتسبون أو يمكنهم أن ينتسبوا إلى الثورة وكان على كل من فرض عليه هذا الإجراء إثبات وجوده يوميا لدى المصالح الاستعمارية بالتوقيع على دفاتر خاصة لهذا الغرض.

ثانيا- في الأرياف:

إذا كان المواطن الذي يشتبه فيه أو المنتسب إلى جبهة أو جيش التحرير تعرض للقمع والإرهاب سواء في المدينة أو الريف على يد أجهزة القمع المختلفة فان سكان الأرياف قد تحملوا العبء الأكبر من أهوال حرب التحرير خصوصا في هذه الفترة التي نحن بصدد تسجيل وقائعها ان وذلك لان الثورة وجدت في الريف الحصن الحصين إذا كان سكان الأرياف هم العون والدليل والممون والمأوي لجيش التحرير.

لذلك تجد فرنسا محاولة منها لعزل الثورة عن الشعب، وجهت كل ثقلها لتدمير الريف وتمزيقه فسلطت القمع والإرهاب على المواطنين في الريف بجميع الأشكال من القتل الجماعي وإحراق المنازل وتدميرها إلى هنك الأعراض والتنكيل بالمواطنين، فانشأت جهازا قمعيا خاصا بذلك يدعى (لاصاص).

الفرق الإدارية الخاصة (SAS) الشهيرة:

إن عدد مراكز هذه المصلحة تبلغ 124 منتشرة عبر تراب الولاية نصبت هذه الفرق المشؤومة في المدن والقرى وفي مراكز التجمع يسيرها ضباط متخصصون في الحرب النفسية والإرهابية تساعدها وحدات عسكرية في لذاء وظيفتها القمعية وكان نشاطها يستهدف عزل الثورة عن الشعب مستخدمة من اجل ذلك عدة وسائل : دعاية، تمويه، ترغيب، تهديد.

اما الدعاية فكانت تستعمل الأسلوب المباشر مثل عملية غسل الأمخاخ أو الحملات الدعائية بواسطة مكبرات الصوت في الأسواق والساحات وأما كل التجمعات لزرع الشكوك وتثبيط عزائم المواطنين.

كما أنها كانت تشرف على حصص إذاعية أو ما يسمى في ذلك الوقت (بصوت البلاد) وهذا الإرسال كان موجها إلى المناضلين جنود جيش التحرير في الجبال، المساجين، والمعتقلين، حيث تذيع حصة صباحية مسجلة عبارة عن حديث تجربة- تمويهها مع أهل الجندي أو المسجون أو المعتقل الهدف منه- التأثير على معنوياته وبالتالي الاستسلام، والواقع أن النتائج دائما كانت عكسية لهذه الحصص فيزداد الجندي إيمانا وعزما، أما المسجون أو المعتقل فكان يتلقاها بكل سخرية ويرى فيها انحطاطا وغباوة هذه المصالح، ونذكر ببعض العبارات الغبية البذيئة التي كانت تستعملها في الإذاعة: يافلان... تذكر اسما ما- أولادك كبرو... يافلان عيط الباباك... يافلان، خوك راه مالعسكر: وراه يخدم في لكومين (البلدية، يافلان... خالد زوج الحد الجاي عرسوا)... أما عملية التمويه فكانت تضلل

المواطن عن طريق عملائها المبتوثين في أوساط الشعب للتجسس عن الثورة والثوار وكثيرا ما كان يتظاهر هؤلاء بأنهم ينتسبون إلى نظام الجبهة وذلك ببيانات مزيفة تعدها هذه المصالح كدفاتر الاشتراكات تحمل خاتم جيش التحرير أو جبهة التحرير الوطني أو (السماح بالمرور) أما الترغيب كان يتمثل في تقديم المساعدات الغذائية والصحية بأسلوب اللانسانى: تنظيم طوابير من البشر كل يحمل في يده صحنا ليملاه (بالصبة) التي أصبحت مهزلة في نظر المواطنين وقد ارتكب أفراد هذه المصالح (لاصاص) أشنع الجرائم في حق المواطنين فانتهكوا الحرمات، والأعراض، وابتزوا الأموال والممتلكات.

وفي إطار الإجراءات القمعية وضعت هذه المصالح المختصة قيودا رهيبية على تحركات المواطنين ونشاطهم اليومي بحيث كان كل من يرغب في التنقل والعمل خارج المدن يخضع للترخيص المسبق، حتى في تبادل الزيارات بين الأقارب كان يفرض التصريح بالضيف لدى هذه المصالح، وكذلك العمل في الورشات كان يخضع لإجراءات تسجيل دقيقة يجبر صاحب العمل في الورشات على تقديم قائمة العمال كل صباح ومساء لكي تسمح لهم بالتوجه إلى مكان العمل والرجوع منه.

لقد كان هذه الفرق الإدارية الخاصة بالولاية الرابعة 124 منتشرة عبر ترابها بحيث غطت كل التجمعات السكنية، قرى، مداشر، دواوير. ونورد هنا نموذجا لتوضيح تنظيمها عبر دائرة من دوائر الولاية.

منسق على مستوى قصر البخاري: الرائد تواري دمنسار

عين بوسيف	-أولاد عنتر -أولاد هلال -الضابط روليار	الشهبونية بوغزول البواعيش الضابط: كروزنيي	-عرش أولاد معرف -المفاتيحة النقيب:دالبياس	عرش عزيز السيوف الضابط:بودوان	-قصر البخاري -سانق -أم جليل النقيب:بيرولات
-----------	---	---	--	-------------------------------------	---

-المناطق المحرمة:

زيادة عن الإجراءات التي اشرنا إليها سابقا والتي كانت تستهدف عزل الثورة عن الجماهير والحد من تأثيرها فان الاستعمار أنشا ما يعرف بالمناطق المحرمة في أواخر سنة 1956، داخل الولاية الرابعة منها: الوزانة، بوزقزة، بني مصرا، زكار، جبال شرشال، ثنية الحد، تمزقيدة، موقورنو، جبل اللوح.

وقد أصبحت نطاقا جغرافيا يحرم أي نشاط للإنسان فيه وجعله الجيش الفرنسي هدفا للقصف المدفعي والجوي المتواصل حيث كان يقصف كل المواقع التي يشك في وجود المجاهدين بها كما تعرضت هذه المناطق إلى حرق غاباتها وقصفها بقنابل النابالم التي التي لايزال كثير من المجاهدين يعاني من أثارها إلى اليوم.

وكذلك اثار هذه القنابل في الغابات مع التذكير بان سكان هذه المناطق اجبروا بالقوة على ترك منازلهم وممتلكاتهم التي دمرت تدميرا كاملا حتى ييأس المواطن من أمل الرجوع إليها وحتى لا تستعمل هذه المنازل كملاجئ ومخابئ لجيش التحرير الوطني ويوجه كل هؤلاء نحو مراكز التجمعات.

مراكز التجمعات:

إن فرنسا لما يئست من عزل الثورة عن الشعب في الأرياف اتخذت إجراء قمعيا رهيبا تمثل في تجهيز السكان بالقوة من المداشر والدواوير وإجبارهم على السكن في التجمعات التي أقامتها لهذا الغرض هذه التجمعات التي إحاطتها بالأسلاك الشائكة وعززتها بوحدات عسكرية تابعة SAS أو الحركة القومية، وضيقت الخناق على هؤلاء السكان بحيث يتعذر العيش في جوها الجهنمي وهي أقسى واشد من التجمعات التي أقامتها ألمانيا الهتلرية خلال الحرب العالمية الثانية.

إن سكان التجمعات أصبحوا يعيشون تحت رحمة العسكر (حركة وقومية) على وجه الخصوص ولا زالت بولايتنا بعض الأكواخ تشهد على هذه المأساة، ثم إن الكثير من المواطنين تحولوا تحت التهديد إلى حراس في النظام المعروف بالدفاع الذاتي.

كانت هذه المناطق مطوقة بالأسلاك الشائكة والخاضعة ليل نهار لهيمنة لاصاص وتجدر الإشارة إلى أن هذا الإجراء التعسفي كان له طابع سياسي اقتصادي حيث تحولت أعداد كبيرة من الفلاحين إلى جيش من اليد العاملة الرخيصة لانجاز المشاريع العسكرية والاقتصادية الأخرى، مثل بناء هذه التجمعات والمحتشدات ونقاط المراقبة تحت مسؤولية العسكريين الاستعماريين، غير أن كل هذه الإجراءات لم تضعف روح المقاومة، اذ برزت في هذه

المراكز مقاومة نشيطة سواء بالنسبة لتزويد جيش التحرير بالمؤن وحتى بالذخيرة الحربية في بعض الأحيان وتسريب المعلومات عما يجري داخل هذه التجمعات وإخبار المجاهدين عن تحركات العدو ورغم هذا الحصار الشديد فإن جبهة وجيش التحرير الوطني واصلت تنظيم هذه التجمعات بواسطة المحافظين السياسيين حتى لا ينقطع الاتصال بالثورة.

-فرق الحركة القومية:

إذا سجلنا باقتضاب شديد بعض الممارسات القمعية للعدو ضد المواطنين في الولاية الرابعة عملا بالمنهية الخاصة بتسجيل وقائع الثورة وأحداثها خلال الفترة المحددة 56-58 فلا بد أيضا من الوقوف ولو قليلا عند مراكز الحركة والقومية باعتبارها جناح قمعي نفذ حصته من القمع والإرهاب، أثناء هذه الفترة وما بعدها.

ظهرت هذه الفرق إلى الوجود خلال هذه الفترة بولايتنا وانتشرت في جهات منها وخاصة في مزارع المعمرين التي تحولت إلى ثكنات (1) وتشكلت من بعض الجزائريين ذوي النفوس الضعيفة والمنبوذين اجتماعيا جهلاء لا يعون في الحياة شيئا سوى إشباع غرائزهم البدائية مدمرين نفسا بفعل الاستعمار، وضعت هذه الفرق تحت قيادة ضباط محنكين من الجيش الفرنسي تسلطت تسلطا فظيحا على الشعب في الجبال والأرياف، حيث كانت تستبيح كل شيء في عمليات القمع والردع العام، ويذكر الشهود بان أفراد هذه العصابة كانوا يحصدون المواطنين حصدا دون سابق إنذار كما اشتهرت بالسلب والنهب والجدير بالذكر للتاريخ أن النهب والسلب والاعتصام الذب تعرض له سكان الجبال والأرياف كان مرخص به من طرف العدو بعد أن تيقنوا وان سكان الريف وما يملكون فهو ملك للثورة أي تحت تصرف جيش التحرير فكل ما يسلب وينهب ويدمر القصد منه حرمان جيش التحرير وعزله حتى يسهل القضاء عليه (هذه مقولاتهم آنذاك).

(1) انظر جداول المراكز العسكرية الملحق بهذا التقرير:

لذلك كانت قوات العدو حينما تدهم المداشر والدواوير في عمليات التفتيش تحرق البيوت وتدمرها بالعربات الناسفة، وتبدد كلما وجدت من مؤونة: حبوب، دقيق، دهن، وكل ما هو صالح للأكل، تحطم الأثاث البسيط، حصير غطاء وتتكرر هذه العملية كلما ينفذ جيش التحرير الوطني كميناً أو يشتبك مع العدو أو تتسرب معلومات حول أماكن تواجد جيش التحرير الوطني، وفي بعض الأحيان كان جيش التحرير رفعا لمعنويات سكان الدشرة المحروقة - ينصب كمائن أو سدود في الطريق ويأسر بعض أفراد العدو ويقدهم إلى سكان الدشرة كبرهان على قدرة جيش التحرير في التصدي للعدو، ونذكر من هذه العمليات عملية نفذها كمندو سي محمد بالطريق الوطني رقم 1 الرابط بين المدينة والبلدية، في مكان يسمى قهوة بوشاقور الكرارش واسر فيها ثلاثة فرنسيين من بينهم عسكري، واحد الكون الذي

أظهر عداء كبيرا للثورة، وقاد جيش التحرير هؤلاء الأسرى إلى دوار تيبيرقنت وعرضهم أمام المواطنين وفاء بالوعد الذي كان وعدهم به بعد حرق هذا الدوار مرتين. ثم إن الاستعمار اجبر بعض سكان التجمعات على حمل السلاح في إطار الحركة والقومية بعد تجويعهم داخل هذه المراكز وقطع كل سبل العيش عليهم وتهديدهم بالقتل وانتهاك الحرمات، وكل ما يمانع في حمل السلاح يتهم بالانتساب الى الثورة وبالتالي تكون العقابنة وخيمة على كل أفراد العائلة، وكان العدو يركز كثيرا على الشباب باعتبارهم رصيد الثورة وقتها.

4- أحداث سياسية وتحليلها:

عرفت هذه الفترة أحداثا سياسية عديدة تدرج ضمن أهم الأحاديث التي عرفتها الفترة الواقعة ما بين 1954-1962.

وقد كان لبعض الأحداث تأثير حاسم في تطور الكفاح ونذكر منها:

-تمكن جبهة التحرير الوطني من تدويل النزاع، في حين كانت السياسة الفرنسية تسعى إلى التقليل من تأثيره.

-عرض القضية الجزائرية أمام منظمة الأمم المتحدة وفي كل دوراتها.

-بعد تأييد مصر في عهد جمال عبد الناصر ودول عربية أخرى لقضية الشعب الجزائري ساندت يوغسلافيا وبلدان عدم الانحياز قضيتها وعلى اثر خطاب ألقاه جمال عبد الناصر أعلن كنيدي أمام مجلس الشيوخ الأمريكي في شهر جويلية 1957 عن تأييده لقضية الشعب الجزائري وحقه في الاستقلال وسجل هذا الخطاب منعرجا كبيرا في تطور الرأي العام الأمريكي وحتى الأوروبي.

-وعلى مستوى السياسي الفرنسي أصبح استمرار الكفاح ونتائجه حديث الساعة في فرنسا فصارت أحداث الجزائر تعرف (بحرب الجزائر) وللمرة الأولى منذ الاحتلال أصبح الوضع السياسي والعسكري في الجزائر يملي ويكيف تسيير الشؤون العمومية في فرنسا. وتتوالى حكومات الجمهورية الرابعة على الحكم وتتشابه وعدم الاستقرار باق الى سقوط الجمهورية الرابعة لتحل مكانها الجمهورية الخامسة.

عدوان فرنسا وبريطانيا وإسرائيل على مصر ومن المبررات التي قدمتها فرنسا مساعدة ومساندة مصر لجبهة التحرير الوطني.

-ويزداد الوضع خطورة في الجزائر، إذ أقدمت فرنسا على تنفيذ حكم الإعدام في زعبانية وفراج، وكان رد فعل جبهة التحرير الوطني سريعا وحازما وهذا ما اعتبرته قوات القمع والأقلية الأوروبية مبررا للقيام بعمليات انتقامية من الأبرياء.

وقد أثار إعدام رئيس فدرالية شيوخ البلديات ورئيس بلدية بوفاريك (اميدي فروجي) في شارع ديدوش بالعاصمة يوم 18 ديسمبر 1956 جنون المتطرفين والعنصريين الذين قاموا بمجازر في حق جموع من المواطنين الجزائريين.

-وال الأمر إلى الجيش الفرنسي ابتداء من جانفي 1957 فتولى تسيير عمليات القمع بالجزائر العاصمة أين انتهج أسلوب الحجز والخطف والتعذيب.

ويسجل يوم 7 جانفي 1958 بداية استغلال البترول الجزائري.

وفي يوم 8 فبراير 1958 لم يتردد الفرنسيون في استعمال الاعتداء على تونس بقصف ساقية سيدي يوسف بدعوى استعمال حق المتابعة المزموم.

-الجيش الفرنسي ينظم حركة 13 ماي وينصب ديغول في الحكم يوم 1 جانفي 1958، هذا الأخير يضاعف قوات القمع، وفي خطاب له يوم 3 أكتوبر بقسنطينة يمنح (سلم الشجعان) ويعلم عن مخطط اقتصادي.

-ومن جانب جبهة التحرير الوطني نسجل.

-منعرجا تاريخيا في حياة جبهة التحرير الوطني، وهو مؤتمر 20 أوت بالصومام.

-يوم 22 اكتوبر القى القبض على 5 من مسؤولي جبهة التحرير الوطني بعد تحويل طائراتهم.

-وعشية انعقاد دورة منظمة الأمم المتحدة قررت لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن المؤتمر القيام بإضراب عام لمدة أسبوع.

-بعد إلقاء القبض على الشهيد العربي بن مهيدي يوم 23 فبراير واغتياله بعد أيام، التحق بالولاية الرابعة بقية أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ ثم غادروا التراب الوطني.

وفي أوت 1957 احتضنت القاهرة أول اجتماع للمجلس الوطني للثورة الجزائرية حيث أصبح عدد أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ تسعة أعضاء في حين ارتفع عدد أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية من 34 إلى 54 عضوا ونسجل هنا تراجع المجلس الوطني على المبادئ المقررة في الصومام.

-وفي 19 سبتمبر 1958 ثم الإعلان عن تكوين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

-في ديسمبر اجتمع قادة الولايات 1، 3، 4، 6 بالولاية 2.

تلك هي الأحداث التي كانت معالم لمرحلة حاسمة في الكفاح المسلح.

-وبصفة مباشرة أو غير مباشرة قد أثرت هذه الأحداث على مستقبل الثورة.

ونتوقف عند البعض منها والتي نعتبرها أساسية لفهم وتفسير لبعض الوضعيات التي سوف تواجه جبهة التحرير الوطني.

إذا كانت مهمة جبهة التحرير الوطني بسيطة نسبيا لفترة ما بين 1954-1956 والتي كانت تتمثل في فرض سلطتها وتعميم النظام عبر كامل التراب الوطني، أصبحت ابتداء من شهر جويلية 1956 تتمثل في التكفل بتسيير قضايا الثورة بعد ان اكتسبت اقتناع الشعب ومساندته. الأمر الذي اقتضى من المسؤولين ضرورة عقد اجتماع بعد 22 شهر من اندلاع أول نوفمبر لضبط طرق تسيير الثورة، والتشاور حول تنظيم جبهة التحرير الوطني وميثاقها السياسي.

ولنبدأ بتحليل مؤتمر الصومام .

أ-قرارات مؤتمر الصومام:

-يرجع الفضل إلى المشرفين على تنظيم المؤتمر وإنهم رأوا من الضروري أن يجتمعوا كإخوة في الكفاح لتحليل المرحلة التي تم قطعها وتقييم النتائج وتحديد هياكل موحدة يجري العمل بها في كافة مناطق الجزائر وإعداد برنامج جبهة التحرير الوطني وتحديد شروط المفاوضات مع فرنسا والتكفير في أشكال تنظيم المجتمع الجزائري بعد الاستقلال. قرر المؤتمر رفض كل تدخل خارجي في شؤون جبهة التحرير الوطني والثورة. إن أعمال المؤتمر كانت في هذا جد ايجابية.

وعلى مدى مقاومة الشعب الجزائري الطويلة فأول مرة يتم تحديد الكفاح بصفة واضحة.

وهذا لا يعني إخفاء بعض النقائص التي برزت في المؤتمر ومنها نسجل:

بعض الغيابات: غياب المنطقة الأولى (الأوراس) التي عرفت بعض الصعوبات خاصة بعد استشهاد البطل مصطفى بن بولعيد للغرب كان العربي بن مهيدي مسؤول المنطقة الخامسة منذ أول نوفمبر حاضرا غير انه يسجل غياب مسؤولين آخرين في تلك المنطقة وغياب الجنوب وغياب وفد تنظيم جبهة التحرير الوطني في الخارج.

-ومع هذا حضر المؤتمر بعض الشخصيات السياسية القادمة من مختلف الأفاق السياسية والتي انضمت إلى صفوف جبهة التحرير الوطني بعد حل تشكيلاتها السياسية.

-وثيقة الصومام لا تولى اهتماما كبيرا للقيم العربية الإسلامية خلافا لتصريح أول نوفمبر، نسيان أم اختيار، وفي الحالة الأخيرة فان المؤتمر يناقش المضمون الديني الفلسفي والخلقي الذي اتسمت به طبيعة الكفاح المسلح من اجل الاستقلال.

إن نقد ومعارضة قرارات المؤتمر ما لبثت أن برزت.

-ظروف انعقاد المؤتمر اعتبرها بعضهم مرتبة ترتيبيا محكما لا يمكنهم من الحضور.

-صادق المؤتمر على مبدئين أساسيين هاميين:

-أولوية العمل السياسي على العمل العسكري.

-أولوية الداخل على الخارج.

وتوجت أشغال المؤتمر بتكوين هيأت تسيير جبهة التحرير الوطني وهي لجنة التنسيق والتنفيذ، والمجلس الوطني للثورة الجزائرية وتم تعيين أعضائها. لجنة التنسيق والتنفيذ تتكون من 5 أعضاء.

المجلس الوطني للثورة الجزائرية يتكون من 34 عضوا. ولقد فرضت قرارات مؤتمر الصومام أعضاء وفد الخارج لجبهة التحرير الوطني. وهناك ملاحظة أولى حول تشكيلة الهيأت المسيرة:

لم يكن مؤسسوا جبهة التحرير الوطني وحدهم فقط هم الذين يجتمعون في الهبات العليا. لقد سمح المؤتمر بالترقية إلى الهيأت العليا لشخصيات لم تكن مقتنعة بعد سلامة الاختيار لأسلوب الكفاح المقرر عن جبهة التحرير الوطني.

وهل كان قرار أولوية الداخلي على الخارج التزاما صادقا من القيادة التي قررت البقاء داخل الوطن، أم كان مناورة ذكية لإبعاد المسؤولين الذين كانوا آنذاك بالخارج. -مشاكل سياسية بقيت بدون حل رغم طرحها على المؤتمر بل ظلت تتطور لتصبح بعد ذلك مشاكل أشخاص والسلطة تسم عمل القيادة لما انتقلت هذه الأخيرة إلى خارج التراب الوطني.

في المرحلة الأولى استقرت لجنة التنسيق والتنفيذ بالجزائر العاصمة تقود الكفاح وكانت على اتصالات بالولايات واتحادية فرنسا واستوجب عليها اخذ قرار حاسم بعد مدة إلا وهي إضراب عام يعلن عن العصيان في مستوى الجماهير الشعبية.

ب-الإضراب:

لا داعي لذكر الوضعية السائدة لما قررت القيادة الإضراب.

-ومن المفيد التذكير بالوضعية التي كانت تسود أيام اخذ قرار الإضراب.

أن منظمة جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني التي عرفت انطلاقة كبيرة في الأرياف، استطاعت أن تكتسب المدن، وفي هذه الأخيرة انشأت جبهة التحرير الوطني منظمة مدنية عديدة بشبكات جمع المال وشبكات جمع المعلومات أو التموين كلها تعمل تحت رقابة سلطة لجان حضرية ولحساب النظام في الجبال.

ولا يمر يوم بالجزائر العاصمة العديد من المدن الأخرى إلا وقام فيه الفدائيون بأعمال تثير الإعجاب ولم يزداهم القمع المسلط من زبانية رجال المظلات إلا عزمًا وثباتًا.

وباختصار كانت جبهة التحرير الوطني تملك زمام المبادرة عشية هذه المواجهة الكبرى.

شهد كل شهر جانفي بالولاية الرابعة وبالجزائر العاصمة نشاطا مكثفا عملا بتعليمات لجنة التنسيق والتنفيذ.

فالاتحاد العام للعمال الجزائريين وبالرغم من إلقاء القبض على إدارته، وأمينه العام الذي اغتيل فيما بعد وجه نداءه إلى مجموع العمال طالبا منهم الشروع في الكفاح متحليين بالرزانة والثبات والثقة في النفس وفي وحدة الصف والانضباط.

وفي العاصمة كلف جنود ماسو عمليات إلقاء القبض على المواطنين كعامل احتياطي. ولنشر البلبلة والاضطراب، في الرأي العام حاول ماسي وجنوده، القيام بمناورة لإفشال الإضراب، فوزعوا منشائر باسم جبهة التحرير الوطني حررتها المصالح الفرنسية (تندد بنداء) الإضراب العصياني وتدعو الجزائريين إلى المضي إلى شؤونهم.

لكن الشعب الذي أحسنت جبهة التحرير توعيته وتجنيدته امتثل لأوامر الإضراب ولم يلتحق الجزائريون بأعمالهم وأغلق التجار دكاكينهم وتغيبب التلاميذ عن الدراسة.

وكان الإضراب شاملا في اليوميين الأوليين، وفي الأيام الموالية عبا الجيش الفرنسي كل الوسائل للقضاء على الإضراب حيث حمل العمال قهرا وساقهم بالقوة إلى شغلهم وكسر أبواب التاجر ففي بوفاريك لم يتردد الكولونيل ارقو في قنبلة واجهات المتاجر بالدبابات وأباح الجنود الفرنسيون لأنفسهم نهب أرزاق الجزائريين.

وكانت عمليات القمع شاملة: إلقاء القبض على آلاف المواطنين وقتلهم بدون سبب. واستعمل الجيش الفرنسي ومصالح الأمن القوة والعنف لإجبار الجزائريين على الرضوخ للأوامر

واكتشف العديد من مراسلي الصحف الأجنبية الوسائل الوحشية التي استعملتها قوات القمع لاسترجاع الأمن والنظام.
ما هي نتائج هذا الصدام الكبير؟

-في الميدان السياسي برهنت جبهة التحرير الوطني على تأييد الشعب الجزائري لها واعتبارها الممثل الوحيد له، لقد توصل الشعب إلى هذا الهدف بامتثاله لأمر جبهة التحرير الوطني في جو من الانضباط.

-وقد اكتشف العالم بأسره الشعب وأبدى إعجابه بعزم الجزائر على انتزاع حريتها.

-ولكن كان لهذه التظاهرة في الميدان عواقب مأساوية بالنسبة للكفاح بصفة عامة فقد تلقت المنظمة صدمة عنيفة.

-وإذا لم تكن عواقب الإضراب بالقمع الذي خلفته وخيمة إلى حد كبير في المدن الجزائرية الأخرى فان العاصمة قد نزل بها القسط الأوفر من هذا القمع وعرف النظام فيها أوخم العواقب.

والمئات من المناضلين الذين نجوا من مخالب العذاب التحقوا بالجبال خصوصا بالولاية 4،
3 وبالمغرب وتونس وفرنسا.

ولقد ألحقت بشبكات الجبهة الحضرية عدة إصابات شديدة.

فالاتصالات اختل نظامها وواصلت قوات القمع أعمالها القذرة شهورا من اجل تحطيم
النظام.

حقيقة أن جبهة التحرير الوطني استخلصت فائدة من هذه المحنة حيث إن الرأي العم
الفرنسي والعالمي حكم على الطريقة الوحشية التي استعملها العدو لتحطيم الإضراب.

وفعلا فان دورة الأمم المتحدة سوف تشرع في أعمالها ويمكننا أن نتساءل هنا هل كان
الإضراب العام مقورا بمناسبة انعقاد الجمعية؟

-لقد دعت لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الإضراب حتى تبرهن بطريقة حازمة مساندة الشعب،
التامة لجبهة التحرير الوطني ممثله الوحيد.

والغرض من هذه البرهنة هو تخويل ممثلينا لدى هيئة الأمم المتحدة السلطة التي تقبل
الجدال حتى يستطيعوا إقناع الدبلوماسيين القلائل الذين لا يزالون يبدون بعض التردد
ويؤمنون بأوهام السياسة الليبرالية لفرنسا.

إن إسناد عملية تكتيكية بهذه الخطورة على نتائج مرجوة على المستوى الدولي يبدو في
رأينا انه خطأ.

إذن ماهي الأسباب الداعية لهذا القرار؟

تخطر بالبال إجابتان:

-إما كانت الانتصارات العديدة التي حققتها جبهة التحرير في ميدان الكفاح المسلح وعلى
المسرح الدولي جعلتها تشعر بأنها قوية قادرة على اقتحام هذه الصعوبة.

-وإما جبهة التحرير الوطني كانت ترى بان هدف الكفاح في متناولها وبعبارة أخرى تؤمن
بقرب الاستقلال.

-وهذا التصور تصور خاطئ لعدة أسباب:

من الخطر اقتراح معركة لهذه المدة الطويلة حتى ولو كانت قد توفرت لجبهة التحرير
الوطني إمكانيات عسكرية ممثلة في وحدات جيش التحرير الوطني بالجبال.

ما كانت جبهة التحرير الوطني لترمي بكل تنظيماتها في المدن في حركة الإضراب مما عرضها لممارسات قوات القمع التي اعتبرت كل جزائري مناضلا في جبهة التحرير الوطني حيث ضاعفت عمليات التوقيف والتعذيب للحصول على معلومات وهكذا استطاع العدو أن يلحق بالنظام أضرارا كبيرة.

ولو وقع الإضراب لمدة اقصر لصعب تحطيمه أكثر ولبرهنت بما يفوق الغاية على تأييد الشعب الجزائري لجبهة التحرير الوطني.

ثم كان من واجب الجبهة أن تحافظ على قواتها لان الكفاح لا يزال طويلا وشاقا وانه لمن الوهم الظن بان الحكومات الفرنسية تستقبل مثل هذا الموقف برحابة صدر.

واعتبارا للمتناقضات التي صاحبت حرب الجزائر، لم يظهر إلى حد ذلك الوقت أنها فكرت في حلول جادة لأنها الحرب والنزاع ولو أن الحكومة الفرنسية كانت لها عدة اتصالات بجبهة التحرير الوطني بالقاهرة وبلغراد وروما وهذا ابتداء من افريل 1956.

إن تحطيم النظام بالمدن كانت له انعكاسات سلبية على الجبال وعلى تطور جبهة وجيش التحرير الوطني.

فعلا إن نظام المدن كان مكملا للنظام في الجبال وامتدادا له والنشاطات المتناقضة بالمدن سمحت للقوات الفرنسية أن تعيد توجيه إمكانياتها لممارسة ضغط اكبر على جيش التحرير الوطني.

وأكثر من هذا هناك نتيجة أخرى للإضراب تتمثل في مئات من المناضلين اغلبهم من الشباب تلاحقهم مصالح الأمن فكان إما قبولهم في صفوف جيش التحرير الوطني أو المخاطرة بتركهم للعدو ولهذا لم يكن من الممكن فرض المرور الإجباري عن طريق نظام المدن والاعتماد على الرخص ومن هنا كان تسرب العدو داخل النظام ممكنا.

جاء هؤلاء المناضلون بدون سلاح وكثيرا منهم جندوا في كتائب جلب السلاح من تونس فاستشهد اغلبهم في الطريق.

-والعاصمة هي التي تضررت، أكثر من صراع جبهة التحرير الوطني لقوات القمع واستمرت المعركة عدة شهور والنظام بالعاصمة بقي يكافح حتى النهاية صامدا، بالميدان ولكن كفة الميزان تغيرت حيث تلقى النظام ضربات قاسية.

واستغل العدو الوضع فجند كثيرا من المتعاونين وظهر المقنعون بالأكياس والزرق.

بعد استشهاد أو إلقاء القبض على المسؤولين الأساسيين لمنطقة الجزائر عاش الناس تحت سيرة التخويف وعم الشك.

في هذا الجو القبيح القبض على المناضل الكبير العربي بن مهيدي بالعاصمة يوم 23 فبراير واستشهد تحت العذاب بعد أيام دون أن ينتزع منه الجلادون أي معلومات أو يحط من كرامته.

- غادر أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ الباقون الجزائر العاصمة يوم 27 فيفري، وبعد ذلك في فصل الربيع اتجه كريم بلقاسم وبن خدة نحو الشرق وسعد دحلب وعبان رمضان نحو الغرب.

وأنها لتطورات أخرى ترسم في الأفق والتي نشاهدها فيما بعد وهي تتحقق مع الأسف وتؤثر على الكفاح المسلح وعلى جبهة التحرير الوطني.

ج-خروج القيادة الوطنية من الجزائر:

في مؤتمر الصومام تقرر مبدأ أساسي وهو أولوية الداخل على الخارج وهذا هو القرار الذي لم يلق معارضة كبيرة.

فعلا من البديهي أن تكون المعركة فوق التراب الوطني كأولوية الأولويات وهذا يتطلب وجود قيادة في نفس المكان لتسييرها ومن المعلوم انه يجب أن تتظاهر كل أنشطة حركة التحرير من اجل تعزيز وسائل الكفاح.

إن الاتصالات من اجل الحصول على العتاد بشتى الوسائل والنشاطات السياسة لاكتساب المساندة المعنوية والمالية من الشعوب الشقيقة والصديقة لقضية الشعب الجزائري أصبحت من الواجبات.

إذا كان الأمر يتطلب وجود جبهة التحرير الوطني على الساحة الدولية ولكن من الضروري أن تكون القيادة داخل الوطن.

تم خلال المؤتمر تقسيم الجزائر إلى ستة ولايات وتعيين مجالس ولائية مسؤولة عن مناطقها الجغرافية، وكانت القيادة الوطنية تتولى تنسيق نشاطاتها فتخطط وتوجه إستراتيجية جبهة التحرير الوطني وبعد مغادرة القيادة لأرض الوطن أصبحت الولايات تتكفل بشؤونها وقد تطلب منها الأمر أحيانا أن تعالج قضايا وتتخذ قرارات لا تدخل ضمن صلاحياتها.

وكمثال على ذلك نذكر قضية الشريف بن سعيد التي عاشتها الولاية السادسة على حدود الولاية الرابعة.

لقد تمرد الشريف بن سعيد ضابط، بجيش التحرير الوطني من الولاية السادسة وقبل ان يلتحق بصفوف العدو قتل علي ملاح قائد الولاية السادسة وإطارات أخرى.

وخلفت هذه القضية على حدود الولاية الرابعة وضعية خطيرة كادت أن تكون لها عواقب سلبية على النظام كله لو استمرت.

وفي غياب هيئة مركزية تدخلت الولاية الرابعة في شخص سي أحمد بوقرة لتسوية القضية.

-ولقد عرفت الثورة وضعيات مماثلة أخرى كلها تتطلب ضرورة تدخل سلطة القيادة العليا.

-والقيادة باستقلالها خارج الوطن وضعت نفسها في تناقض مع مبدأ أساسي إلا وهو أولوية الداخل على الخارج.

لقد وصل أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ إلى تونس في شهر جوان، وبعد صعوبات كثيرة تمكنوا من جمع المجلس الوطني للثورة الجزائرية في شهر أوت بالقاهرة.

وفي هذا الاجتماع تم توسيع المجلس الوطني ولجنة التنسيق والتنفيذ ولكن القرار الهام يتمثل في إعادة النظر في بعض المبادئ التي صادق عليها مؤتمر الصومام، فأعلن المجلس الوطني للثورة (إن الأولوية للجانب السياسي على العسكري، كما ليس هناك فرق بين الداخل والخارج).

وكان لهذا الموقف التي وضعت فيه القيادة الوطنية نفسها نتيجتان وخيמתان إلى حد كبير.

-كانت الأولى بالداخل حيث تكون شعور لدى الولايات بان القيادة تخلت عنهم مما خلق عدم الثقة بين أركان القيادة للولايات اتجاه القيادة العامة.

ولكن إنصافا للتاريخ نشهد بما يلي:

إن مسؤولي الولاية الرابعة لم يتعرضوا بدا في حديثهم مع جنودهم إلى اعتراضاتهم وانتقاداتهم للقيادة، بل بالعكس واصلوا طيلة الحرب تركيبتهم للقيادة وقاموا بما يليه واجب الانضباط والطاعة داخل نظام يمتاز بالتدرج في المسؤوليات.

والنتيجة الثانية هي أن القيادة الوطنية بانتقالها خارج التراب الوطني قد انفصلت عن حقائق الكفاح ولم يبق لها إمكانية.

وبهذا الصدد يجب أن نذكر بالوضعية السائدة في الجزائر.

كانت العاصمة من سنة 1956 إلى 1957 خاضعة لسلطة لجنة التنسيق والتنفيذ، وبعد انحلال النظام بها لم تتخذ القيادة أي تدابير لإعادة تنشيطها ولم تكلف أية ولاية أو هيئة بمهمة مراقبة الجزائر ودام الانتظار إلى سنة 1960 حيث كلفت الولاية الرابعة بهذه المهمة، ولو أن الولاية الرابعة لم تتخل عن أي تنظيم العاصمة طول هذه المدة.

هذه الوضعية الجديدة المشحونة بالتهديد للمستقبل زادت في خطورتها الجهود القليلة التي بذلتها القيادة لتوفير وسائل مواصلة الكفاح لجيش التحرير الوطني.

د-التزويد بالسلح:

إن جيش التحرير الوطني كان بإمكانه أن يجند بدون حدود من الاحتياطي الضخم للشعب الجزائري إذ لم ينقص الشباب المتطوعون في جيش التحرير الوطني.

-والأسلحة التي تلقاها جيش التحرير الوطني كانت مما جلبته الدوريات والكتائب التي انتقلت بنفسها إلى المغرب وخصوصا إلى تونس.

-وبهذا الشأن يلاحظ عدم وجود مصلحة أو هيئة تسهر على توزيع السلاح ومراقبة توصيله عن طريق الدوريات إلى الجهة المستحقة له.

هذه الدوريات التي كثيرا ما تعرضت لعمليات ملاحقة العدو ولمشاق أخرى.

-وبأمر من القيادة الوطنية توقفت الولاية الرابعة عن إرسال الكتائب إلى الخارج بعد الخسائر الجسيمة والأضرار التي ألحقها العدو بها.

-وقد كان يمكن لقيادة لها دراية باحتياجات قرى الكفاح أن تجد الحلول المناسبة لمشكلة التسليح قبل أن ينتهي الجيش الفرنسي من بناء خطي موريس وشال.

وقد تصرف نفس التصرف اتجاه جيش التحرير الوطني على الحدود الذي عانى هو الآخر من عدم انسجام القيادة التي أهملت تزويده بالوسائل الضرورية التي كان يطالب بها باستمرار.

ورغم ذلك واصل جيش التحرير الوطني في الحدود سواء بشرق الوطن أو غربه مكافحة العدو بدون هواده مجبرا الجيش الفرنسي على تعبئة إعداد ضخمة من جنوده على حول خطي (موريس) و(شال).

ولو أن القيادة السياسية زودته بالوسائل الضرورية لتمكن من زعزعة وحدات العدو أكثر مما كان.

وعوض أن تكرر القيادة جهودها لتدعيم وشحن سنان حربة جبهة التحرير الوطني، أنهكت نفسها في البحث عن حلول توفيقية لا طائل فيها.

وأمام هذا العجز الذي ظهر في القيادة الوطنية حاول قادة بعض الولايات استدراك الموقف.

هـ-اجتماع العقدة (ديسمبر 1958):

إن قيادة الولايات الأولى والثالثة والرابعة والسادسة ومندوب عن مجلس الولاية الثانية، وعيا منهم بان الكفاح عمل مشترك يعقدون اجتماعا في تراب الولاية الثانية في ديسمبر 1958.

وقدمت كل ولاية خلال هذا اللقاء عرضا حول الوضعية التي تعيشها ومختلف المشاكل التي تواجهها.

واكبر مشكل كان يشغل بال القيادة الولايات مشكل عزلة الداخل.

ومن بين القرارات التي تم اتخاذها قرار مساعدة الولاية الرابعة للولايتين الأولى والسادسة.

وهكذا أرسلت الولاية الرابعة للولاية الأولى كتيبتين وهما كوماندو المنطقة الأولى وكوماندو المنطقة الثانية، كما أرسلت الولاية الرابعة للولاية السادسة كوماندو المنطقة الثالثة لمدها يد المساعدة من أجل القضاء على فلور بلونيس التي كانت تحت قيادة الخائن مفتاح.

وبقيت هذه الكتائب بالولايتين الأولى والسادسة ما بين 8 و10 أشهر.

وخلال هذا الاجتماع اخبر الشهيد العقيد اميروش قادة الولايات الأخرى أن تنظيما للعدو تسرب في النظام بالولاية الثالثة وله امتداد في الولاية الرابعة.

وتمت على ما يبدو المصادقة على مبدأ القيادة الموحدة.

وبعد الاجتماع استشهد ثلاثة من قادة الولايات: العقيدان الحواس واعميروش في الولاية السادسة يوم 28 مارس 1959 والعقيد سي أمحمد يوم 5 ماي 1959 في أولاد بوعشرة في المنطقة الثانية من الولاية الرابعة.

وأزمة القيادة الوطنية تفسر تقسما كبيرا في المحن التي عرفت الثورة قبل وبعد سنة 1958.

بينما كان العدو يضاعف قواه لم يكن في استطاعة جيش التحرير الوطني أن يأخذ للأمر عدته إذ توقف تزويد وحداته بالسلاح والذخيرة ابتداء من خريف 1958 وصار النظام في الداخل يشعر بالعزلة بل بان القيادة الوطنية قد تخلت عنه، هذه القيادة التي ستنهكها التناقضات المتراكمة والتي تحجرت عليها منذ خروجها من التراب الوطني.

وفي تلك الآونة ظهرت في فرنسا الجمهورية الخامسة وقام نظام ديغول واستخدم هذا الأخير وسائل عسكرية ضخمة في محاولته للقضاء على الثورة.

وكان ذلك هو التمهيد للمحن الكبرى التي عرفها جيش التحرير الوطني ابتداء من أوائل سنة 1959.

وبالرغم من كل شيء فان جيش التحرير الوطني تكيف مع الشكل الجديد الذي أخذه الكفاح ويخرج منتصرا محققا الهدف الذب تقبل من اجله الشعب الجزائري كل التضحيات الاستقلال الوطني.

خلاصة:

تلك هي الأحداث البارزة التي رسمت هذه الحقبة الحاسمة من تاريخ الثورة والتي تمتد من شهر أوت 56 إلى نهاية 1958.

ويمكن حقا الجزم في القول بان الثورة عرفت في هذه الفترة افخر أيامها فكانت سمنا 1957 و1958 أبهى سنواتها.

ذلك أن جبهة التحرير الوطني وهي سيدة الموقف في الداخل القوية بولاء الشعب الجزائري لها والتحامه حول الهدف الذي حددته في بيان أول نوفمبر 1954، كانت في المجال الدولي تحصل على انتصارات أخرى.

قد أصبحت قضية الشعب الجزائري معروفة، وتحظى بتأييد الشعوب والعديد من الحكومات.

وزعزع كفاح الشعب الجزائري أسس السلطة في فرنسا واطضع نظامها الاقتصادي واطدث فيما بعد انقساما في الرأي العام الفرنسي.

وفي الميدان العسكري فان زمام المبادرة كان بيد جيش التحرير الوطني.

العمليات كثيرة وشاملة لمجموع التراب الوطني.

-أعمال الفداء تستهدف يوميا رجال القمع والعملاء.

-عمليات تخريب المنشآت الاقتصادية تنتشر.

-كتائب جيش التحرير الوطني تباغت العدو في كل مكان، تنصب له الكمائن الدامية تسمح له بالتسلح على حساب الجيش الفرنسي.

ولكن الاشتباكات مع العدو صارت ابتداء من صيف سنة 1958 أكثر وقوعا واشد ضراوة.

بينما كان العدو يضاعف قواه لم يكن في استطاعة جيش التحرير الوطني أن يأخذ للأمر عذته إذ توقف تزويد وحداته بالسلاح والذخيرة ابتداء من خريف 58 وصار النظام في الداخل يشعر بالعزلة بل بان القيادة الوطنية قد تخلت عنه ، هذه القيادة التي ستنهكها التناقضات المتراكمة والتي تحجرت عليها منذ خروجها من التراب الوطني.

وفي تلك الآونة ظهرت في فرنسا الجمهورية الخامسة وقام نظام ديغول وسيستخدم هذا الأخير وسائل عسكرية ضخمة في محاولته للقضاء على الثورة.

وكان ذلك هو التمهيد للمحن الكبرى التي سيعرفها جيش التحرير الوطني ابتداء من أوائل سنة 1959.

وبالرغم من كل شيء فان جيش التحرير الوطني سوف يتكيف للشكل الجديد الذي أخذه الكفاح ويخرج منتصرا محققا الهدف الذي تقبل من اجله الشعب الجزائري كل التضحيات وهو: الاستقلال الوطني.

1-التنظيم العام للولاية الرابعة:**1- في المدن:**

- تطويق المدن
- منع التجول
- مراكز التعذيب
- السجون
- مراكز الاعتقالات
- الإجراءات الإدارية

أ- الميدان السياسي.

ب- الميدان الاجتماعي.

ج- التموين والاقتصاد.

د- المالية

هـ- الأخبار والاتصالات.

2-النشاط العسكري:**2- في الأرياف:**

- المناطق المحرومة
- المحتشدات
- لاصاص
- الحركة
- الأحداث السياسية وتحليلها:

أ- وحدات جيش التحرير الوطني

ب- تسليح وتدريب جيش التحرير الوطني

ج- إستراتيجية وتكتيك جيش التحرير الوطني

د- القوات الفرنسية بالولاية الرابعة

- التمركز والتنظيم الإقليمي

- عدد الثكنات والمراكز المقامة (قائمة ملحقة)

هـ- عرض النشاط العسكري

- لوحة الأعمال العسكرية المحصية

- العمليات العسكرية الكبرى

3- القمع:

- 1- قرارات مؤتمر الصومام
- 2- الإضراب
- 3- خروج القيادة الوطنية
- 4- التموين بالأسلحة
- 5- اجتماع قادة الولايات

أ- لوحات ملحقة

- مراكز الاستنطاق والتعذيب

- السجون والسجون المركزية

- المعتقلات

- مراكز التجمع

ب- وسائل القمع

- مصالح القمع

ج- أشكال القمع

5- الخلاصة:**الملحقات:**

- 1- قضية الشريف بن سعيد
- 2- قضية بالحاجيست
- 3 - تمركز الثكنات ومراكز العدو
- 4- قائمة مراكز الاستنطاق والتعذيب
- 5-قائمة السجون والسجون المركزية
- 6-قائمة مراكز الاقتراع
- 7-قائمة محتشدات التجمع
- 8 - تمركز لاصاص

ملحق رقم 1 حول حادث المسمى شريف بن سعيدي

في آخر سنة 1957 ضم القسم الشمالي من الولاية السادسة إلى الولاية الرابعة وتكونت منه منطقة رابعة وذلك على اثر مأساة قام بتنفيذها المتمرد شريف بن سعيدي والتي أسفرت عن إبادة عدد كبير من المجاهدين بما فيهم اطارات على جميع مستويات الولاية.

كان الشريف بن السعيدى ضابطاً أولاً عسكرياً على رأس كتيبة يتكون معظم إطاراتها من أقاربه فتكونت من هؤلاء عصابة على هامش الكتيبة أسندت إليها الإبادة وانطلقت هذه العملية الشنعاء في 31 مارس سنة 1957 بالقضاء على حياة الصاغ الثاني سي الشريف علي ملاح قائد القائد للولاية السادسة بجبل الشاون قرب دراق وقضى معه على كاتبه موسى والاتصال ملال علي، وفي 2 و3 افريل نصبت العصابة كميناً بالمكان المسمى كرامة شيخا واستهدفت به الضابط الثاني المدعو الروجي وهو في طريقه إلى مركز الولاية بأولاد عائد برفقة بن سعيدي الذي أصيب فيها ذراعه بجرح رميا من الروجي قبل مصرعه وتم هذا عند غروب الشمس ثم واصل بن سعدي طريقه إلى ناحية سور الغزلان ماراً بمركز الولاية الذي لم يتوقف به إلا قليلاً حيث ادعى وأنهم وقعوا في كمين نصبه لهم العدو وبالمطقة الأولى (سور الغزلان) وهناك قضى على حياة الصاغ الأول عبد الرحمان جوادي، ومن معه من إطارات وجنود ثم نصب نفسه على الولاية وانتحل رتبة صاغ ثاني وبسط نفوذه على كامل المنطقة الأولى ولم يمنع من هيمنته إلا مركز الولاية الواقع بأولاد عائد (الولاية الرابعة) ومنطقة قصر البخاري التي لم يجرؤا على التوسع بها قبل أن يستفحل أمره، وعندما شاع الخبر لم يبق بالولاية من مسؤولين لمواجهة الأمر غير الإخوة عبد الرحمان مقلاتي كاتب الولاية والضابط الأول عبد الرحمان بالمنطقة الثانية حيث انتقل هذا الأخير إلى مركز الولاية لتدارس الوضع والاتفاق على خطة المواجهة.

ومراعاة للإمكانات الضعيفة تقرر أن يذهب كاتب الولاية لمقابلة مسؤولي الولاية الرابعة فيحطمهم علماً بالمأساة ويطلب منهم المساعدة. وان يرجع الضابط الأول إلى أرضية المنطقة الثانية لتجنبها من الوقوع تحت نفوذ المتمردين والتصدي إلى البلبلية التي فشاها رجال بن سعيدي في الربوع على أن هناك خلافاً دامياً بين العرب والقبائل فانفعل الشعب بهذه الدعاية حتى إطارات وجنود المنطقة تسرب إلى أنفسهم التشكك في بعضهم البعض واستفحل أمر بعض الحركة وكثرت تحركات الجيش الفرنسي وانزوت بعض القرى على نفسها تحذراً.

وفي شهر ماي تدخل الصاغ الثاني سي أحمد بوقرة ومعه الصاغ الأول لخضر والضابط الثاني عز الدين على رأس الكوماندو علي خوجة فتضععت شوكة المتمردين والتحق بن سعيدي ورجاله بالجيش الفرنسي وفشى أمره بين الشعب الذي ضلله بالأكاذيب خاصة وان -

كومانداو علي خوجة- لقن للعدو درسا في اشتباك بقرب الكاف لخضر غير بعيد عن عرش أولاد سلطان (قريبا من تواجد المتمردين) أعاد للشعب حيويته وثقته بالجيش ثم اشرف سي محمد بوقرة على هيكله الولاية فنصب على رأسها الطيب الجغلاي الذي أتى به من الولاية الرابعة وأضاف له عبد الرحمان مقلاتي كعضو في الولاية ثم تهيكلت من جديد المنطقتان وانطلقت الأعمال لتجميد الجراح وسد الثغرات التي تسبب فيها المتمردون.

وبجدر بالذكر أن في هاته الفترة انظم عمر إدريس الذي خلف سي زيان الذي كان على رأس جيش التحرير بالصحراء بالولاية الخامسة التي كون هذا القسم الجنوبي للولاية السادسة منطقة تاسعة تابعة لها.

أما الهضاب العليا وسط الولاية السادسة فضل خاضعا لسيطرة بلونيس الذي تمركز في المثلث المتكون من الجلفة-بوسعادة- قصر الشلالة وفي آخر 1957 حلت الولاية السادسة لما انحصرت فيه من مساحة ضيقة وأرجعت أراضي (المنطقة الأولى) منها إلى الولاية الرابعة.

ونتيجة لمساع بذلت بالمغرب من طرف عبد الرحمان مقلاتي وعبد الرحمان شايد لدى مسؤولي الولاية الخامسة ثم عضو لجنة التنسيق والتنفيذ عبد الحفيظ بوصوف من جهة وبتونس لدى لجنة التنسيق والتنفيذ من طرف الرائد الطيب الجغلاي أعيد النظر في قضية الولاية السادسة وأبرزت إلى الوجوه من جديد وعين على رأسها الحواس آخر سنة 1958 وجمع لأول مرة بين قسميها الشمالي والجنوبي تحت قيادة واحدة.

من هو شريف بن سعدي؟

على ما يبدو رجل بلا ماضي سياسي وبالتالي ينعدم فيه التكوين النضالي ولد بأولاد العقون ببلدية السواقي، وعلى اثر ما تفتح للحيات انخرط في الجيش الفرنسي، المخرج الوحيد الذي فرضه الاستعمار على شباب الجنوب للإفلات من حياة محدودة الأفاق، شارك في حرب الهند الصينية مدة سنتين.

وفي النصف الثاني من سنة 1956 ذهب بين أهله لقضاء عطلته فاتسم فيه جيش التحرير الوطني الصلاح لخبرته العسكرية وترقيته إلى ضابط صف فجنده دون أن تكون له سابق رغبة في ذلك وسرعان ما ارتقى إلى رتبة ضابط أول عسكري على رأس كتيبة وهنا يفتح قوس لإلقاء نظرة على الوضعية بالولاية السادسة الوليدة والمنبثقة عن مؤتمر الصومام حيث ورث الصاغ الثاني سي الشريف علي ملاح المعين على رأسها ما كان بالمكان من إمكانيات بشرية ومادية والتي استعملت لفتح الناحية من طرف الولايتين الثالثة والرابعة ثم عززت ببعض الإمدادات مساعدة من هاتين الولايتين، غير أن هذه الإمكانيات في مجملها بقيت قليلة

جدا ثم إن أرضية الولاية السادسة بالشمال منبسط في غالبها تنعدم فيها الغابات والأرض الوعرة إلا ما قل وندر، إلى درجة وان مركز الولاية كان محتضنا بالولاية الرابعة، وكانت هذه الوضعية تتطلب من الذين يشرفون على الولاية أكثر تكويننا وصرامة وتضحية غير أن افتقار الولاية من الإمكانيات البشرية، خاصة الإطارات جعل المسؤولين يتساهلون في الاختيار.

التطوعات للعمل بهذه الناحية كانت قليلة، وكثيرا ما حول إليها جنود وإطارات من الولايتين الثالثة والرابعة بعقوبات تأديبية وهذا ما دعى إلى تجنيد بن سعيدي من دون تحذر، وجعل علي ملاح الذي كان يتسم بالسماحة وطيبة القلب أن يقبل أيا من كان آملا في تطور الخلق بعد إعطاء الأشخاص فرصة، التحق بفصائل الثورة لكن مع الأسف، أن بعضهم أتوا المسؤوليات التي تفوق فضائلهم فأشاعوا في الربوع فسادا مما خلق جوا مقلقا خاصة في وسط كثيري التمسك بالعادات والتقاليد والقيم.

كان ابن سعيدي احد ابرز الضباط الستة والسبعة الذين كانت تتكون منهم نواة الولاية، وكانت بينه وبين البعض منهم كراهية إلى درجة العداوة فأراد التخلص منهم وفي مدة شهر تقريبا قضى على عدد كبير غير مبال بالنتائج الوخيمة التي مست بمصير الولاية وخلفت مسيرة الثورة. ولو كان صحيحا ما قيل في ذلك الوقت انه حاول تصحيح الوضع السائد في الولاية وانه كان يندم فيه التكوين فاستعمل اللغة الوحيدة التي يعرفها وهي لغة السلاح والقتل لم تورط فيها إلى أقصى حد بغريزة المحافظة على نفسه.

أم قام بتنفيذ مهمة كلفه بها الجيش الفرنسي حين أعطاه عطلة ترفيهية.

علما باجتياح جيشنا إلى المدربين على السلاح، واغتنم فرصة استفحال التوتر بالولاية لتكون له حجة ثم إعطائها صبغة عنصرية. أو محاولة جديدة من العدو لتطبيق سياسة فرق تسد. فالتحق بن سعيدي بالجيش الفرنسي وهرب من مواجهته للأمر الواقع في إطار جيش التحرير الوطني.

كما نعبد إلى الذاكرة أن الجيش الفرنسي احتفظ له برتبة كولونيل (عقيد) التي انتحلها، اعترافا له بما قام به ثم رقاؤه وحاول استعماله من جديد. في إطار العملية التي كان يخطط لها وهي القوة الثالثة. إذ بعد انضمامه إلى العدو كون وحدات بسطت نفوذها على نواحي سور الغزلان وسيدي عيسى واستقر في جواب، ولقد عان المواطنون الكثير من أعماله الإجرامية، وأصبح جيش التحرير الوطني يتابعه عسكريا يشنع بعملياته القمعية.

ملحق رقم 2:

قضية البلاحاجيين:

من هو بالحاج؟

بالحاج الجيلالي عبد القادر أصله من دوار زدين (قرب عين الدفلة) ابن عين أبوه الملازم القديم في صفوف الصبايحية، قائدا وبصفته ابن خيمة كبيرة، قبل في مدرسة ضباط الصف بشرشال حيث تخرج برتبة عريف.

وأصبح بالحاج مناضلا في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية ثم عضوا في المنظمة السرية وبعد ذلك مدربا بهذه المنظمة.

ومن عجائب التاريخ أن انعقاد مؤتمر حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية في سنة 1949 كان في مزرعة بالحاج بزدين.

وعندما كشف البوليس الفرنسي أعضاء المنظمة السرية القي القبض على بالحاج في نفس الوقت الذي أوقف فيه عددا كبيرا من المناضلين المسؤولين وادخل سجن البليدة.

-ومخالفة لتعليمات الحزب التي أمر بها كل المساجين بإنكار وجود المنظمة السرية، فإن بالحاج فشلت عزيمته وأكد اعترافه مما أدى إلى الحكم على كثير من المناضلين.

- ابتداء من هذا الوقت يمكن القول بان بالحاج قدم ولاءه للشرطة الشيء الذي سمح بإطلاق سراحه وجعل منه بعد ذلك عميلا للشرطة الفرنسية مع بقاء عضويته بحركة انتصار الحريات الديمقراطية.

وعند اندلاع الثورة اختار بالحاج الانتماء إلى مصالي ولما كان معروفا به بناحية الشلف بأنه مناضل في حركة انتصار الحريات الديمقراطية فقد غلط عددا كبيرا من السكان وجندهم وعسكر بهذه الناحية.

- إنشاء قوة كوبيس:

في نهاية 1956 انتحل بالحاج اسم كوبيس وأصبح مشهورا بتكوينه عصابة زعم بأنها جيش التحرير الوطني بينما كان هذا الجيش مدعما وممولا من المصالح السرية الفرنسية التي عينت بجانبه خبيرا مكلفا بمتابعة العملية.

وجند جل أتباعه من ناحية الشلف ومن الشراقة وبئر خادم العاصمة وكان هؤلاء العناصر من أتباع مصالي مناضلين في جبهة التحرير الوطني متطوعين للالتحاق بجيش التحرير الوطني نجح في مغالطتهم.

وهكذا استطاع أن يكون له في نهاية 1956 أفواج مسلحة أوهم المجندين فيها بأنهم هم جنود جيش التحرير الوطني الحقيقيون وان جبهة التحرير الوطني ما تضم في صفوفها إلا المغامرين والشيوعيين.

واستطاع كذلك أن يحصل من فرنسا على الإذن برفع العلم الجزائري بجانب الفرنسي.

وكانت اشتباكاتة الأولى مع جيش التحرير الوطني في بداية 1657 في الوقت الذي بلغت قواته ما يقرب من 500 رجلا.

والى حد هذا الوقت كذلك يغلب الضن أن نوابه فقط كانوا على علم بتواطئه مع فرنسا بينما الباقي من جنوده كان يجهل كل شيء.

ولكن بعد مدة قليلة تعجب المجندون المغالطون من ان رئيسهم لا يقوم بأي نشاط مسلح ضد الفرنسيين ومن هنا انظم كثير منهم بصفة فردية إلى صفوف فردية إلى صفوف جيش التحرير الوطني.

وأصبح نشاطه ضد جبهة وجيش التحرير الوطني واضحا بتعاونه وتنسيقه مع حركة باشاغا بوعلام (بني بودوان) حيث كان يشارك في عمليات الجيش الفرنسي بالجناب.

وفي سنة 1957 (وفي شهر رمضان) نظمت عملية هامة ضد معسكره من طرف كوماندو جمال تحت قيادة النقيب (سي محمد) رئيس المنطقة الثالثة وأسفر هذا الهجوم على عدد من القتلى بصفوف البلحاجيين وهذه المرة الأولى التي يتدخل فيها الطيران الفرنسي بصفة سافرة إلى جانبه.

وابتداء من هنا أصبحت كل الأمور واضحة بالنسبة لأنصاره المغالطين إلى ذلك الحين وبالنسبة للشعب في هذه الناحية الذي تأكد من التحام بالحاج مع الجيش الفرنسي ضد الثورة.

وقام بلحاج بعمليات وهجومات أخرى ضاعفت وجود الشك في صفوفه.

وهكذا ففي صفوف الأعوان المقربين إلى بالحاج تكون تيار مضاد له يسعى أصحابه لتصليح غلطاتهم وتخليص أنفسهم من الورطة، وكانت في بداية الأمر قضية احمد بلقاسم

الذي تولى بلحاج قتله بنفسه، وهكذا تكثفت الاتصالات بين مبعوثين بلحاجيين ومسؤولي المنطقة الثالثة وخاصة رشيد بوشوشي مسؤول الأخبار والاتصالات.

ولقد وافق جيش التحرير الوطني على انضمام البلحاجيين بشرط ان يأتوا برأس بلحاج وهكذا في ليلتي 27-28 افريل 1958 التحق بجيش التحرير الوطني حوالي 1000 رجل بجبال عمرونة حاملين معهم رأس بالحاج.

وتجدر الملاحظة أن من بين الألف الملتحقين بجيش التحرير الوطني لم يكن مسلحا منهم إلا ثمان مائة (800) وكان كل سلاحهم سلاحا فرديا وقديما مثل: موسكوطو، بندق صيد، بندق حربية نوع 86 و 15/7 مسدس رشاش نوع 38 ولم يكن أي سلاح جماعي ثقيل.

وبعد انضمامهم نظم الجيش الفرنسي عمليات كبرى لمتابعتهم حيث وقعت عدة اشتباكات دامت 3 أيام في عمرونة، مداد لجام قرب ثنية الحد وفي بطحية.

وقررت القيادة توزيعهم على مستوى المناطق والنواحي، وفي وحدات جيش التحرير، ولم يكونوا مدربين على القتال مما تسبب في موت العديد منهم واستسلام كثير منهم للعدو.

أما المسؤولون منهم والذين كانوا نوابا لبلحاج فقد نالوا المصير الذي يستحقوه بناء على قرار صدر عن القيادة الوطنية.

